سلسلة شرح العقيدة

كيف نؤمن بالقدر

بقلم

ياسر برهامي

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين

دار القمة

لتوزيع الكتاب والشريط والسي دي

ت : ٥٢٢٢٠٠٢

دار الإيمان

للطبع والنشر والتوزيع

إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنَا تقبَّلْ مِنَّا
إنَّكَ أنتَ السَّميعُ الْعليمُ



دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع

١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) ﴾ [النساء: ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) ﴾ [الأحزاب: ٧٠]

أما بعد،،

فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

فإن دراسة العقيدة في ضوء الكتاب والسنة من أعظم أسباب صلاح القلب وصلاح السلوك، والعمل الذي هو أساس تكوين الشخصية المسلمة المتكاملة التي هي مفتاح الخير في علاج مشكلات العمل الإسلامي.

وقضية الإيمان بالقضاء والقدر من أعظم قضايا الإيمان إذ هو أحد أركان الإيمان التي بينها رسول الله ﷺ في حديث جبريل عليه السلام حين سأله عن الإيمان فقال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**» [متفق عليه].

وهي أحد القضايا التي حيرت البشرية حين حاول الناس فهمها بعيداً عن الوحي المنزل فضلت فيها العقول وزلت فيها الأقدام والأفهام وتكلم الزنديق بلسان الصديق ولا تزال البدع في هذه المسألة تطل برأسها ولم تنقرض كما انقرضت كثير من البدع أو كادت.

وتميز أهل السنة بوسطيتهم في هذه القضية كما هو وسط في كل مسائل الاعتقاد والعمل فهم خيار هذه الأمة وقد قال تعالى: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا** ﴾ [البقرة: ١٤٣] فهم وسط بين الجبرية الغلاة والقدرية النفاة، ولقد كان كتاب معارج القبول للشيخ أحمد حكمي - رحمه الله - علامة مميزة على طريق أهل السنة لكثرة استدلاله بنصوص الكتاب والسنة والتزامه التام بطريقة السلف ومنهجهم بعيداً عن منازعات المتكلمين وسخافات الفلاسفة وضلالات المبتدعين.

ولقد ألقيت عدة محاضرات في شرح فصل الإيمان بالقضاء والقدر من هذا الكتاب المبارك وقد اعتنى بجمعها وكتابتها أحد طلاب العلم الأفاضل وهو الأخ الدكتور هشام عبد الجواد فراجعتها ووجدت من المفيد نشرها لتعم بها الفائدة.

أسأل الله أن ينفع بها قائلها وجامعها وناشرها وقارئها وكل من أعان على نشر منهج أهل السنة والجماعة، وأسأله سبحانه أن يغفر لنا الذنوب والأخطاء وأن يعفو عن السيئات إنه عفو كريم غفور رحيم.

كتبه
الشيخ الدكتور
ياسر برهامي
حفظه الله

كتاب الإيمان بالقضاء والقدر

القضاء: هو إنفاذ ما قدره الله، والقدر: هو محكم التقدير السابق وهاتان الكلمتان إذا اجتمعتا فمعناهما على ما ذكرنا، وإذا افترقتا اجتمعتا أي دخلت كل واحدة في الأخرى، فكلمة القضاء وحدها تشمل القضاء والقدر، وكلمة القدر وحدها تشمل أيضاً القضاء والقدر.

والإيمان بالقضاء والقدر فرض عين على كل مسلم بل هو ركن من أركان الإيمان من كذّب به كفر والعياذ بالله، ففي حديث جبريل قال: (فأخبرني يا محمد ﷺ عن الإيمان؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره**» [رواه مسلم] وسئل ابن عمر عن أناس بالبصرة يقولون: (لا قدر وأن الأمر أُنف) فقال لمن سأله: «أخبرهم أني بريء منهم وأنهم بُرآءُ مني، والذي يَحلِفُ به ابن عمر لو أنفق أحدهم مثل أُحد ذهبًا ما قبل منه حتى يؤمن بالقدر». [رواه مسلم كتاب الإيمان، ج ٨، والترمذي (٢٦١٠)].

تنبيه:

المقصود من قولنا (نؤمن بالقدر خيره وشره): أي نؤمن بالشر المقدَّر فهو من خلق الله وقد أراده الله، لا أن أفعال الله فيها شر ففي الحديث: (والشر ليس إليك)، فلا شر في أفعال الله ولا في أسمائه ولا في صفاته، وكذلك لا يُتقرب إلى الله بالشر، بل الشر المقدر شر نسبي يترتب عليه من الخير أضعاف هذا الشر.

● والشرير هو منْ فَعلَ الشر أما من خلقه لحكمة فلا يوصف بالشر سبحانه وتعالى.

وقد زعم بعض الجهلة أن الواجب ترك الكلام في القدرِ، وأن نَكلَ معرفته إلى الله وقالوا: الخوض فيه يؤدي إلى الشك، واستدلوا بقول النبي ﷺ: «**لا يزالُ**

أمرُ الأمة مقارِبًا ما لم يتكلموا في الولدانِ والقَدَر»[١]، وبقول النبي ﷺ: «عَزَمْتُ عَلَيْكُم ألا تَنَازَعُوا في القَدَر»[٢]، وهذا فهم خاطئ، فالرسول ﷺ نهى عن الخوض في القدر بالرأي والهوى والعقول الفاسدة التي تعارض الأدلة بعضها ببعض وتنقب عما لا علم لنا به كحكمة تخصيص البعض من الذوات والصفات والأفعال بالفضل وتخصيص البعض بالعدل ونحو ذلك، وأما فهم القضاء والقدر من خلال الكتاب والسنة وأقوال الصحابة وتابعيهم بإحسان فالبحث عنه والخوض فيه من واجبات الدين، وقد كثر في القرآن والسنة ذكر دلائل العقيدة الصحيحة في القضاء والقدر، كما سنذكر إن شاء الله، فكيف يقال بعد هذا باستحباب ترك الكلام في القضاء والقدر؟؟

قال صاحب سلم الوصول

والسادسُ الإيمانُ بالأقْدَارِ ∴ فأيقنَنْ بها ولا تُمَارِ
فكلُ شيءٍ بقضاءٍ وقدر ∴ والكل في أم الكتاب مستطر

والسادس من أركان الإيمان المشروحة في حديث جبريل وغيره هو الإيمان بالقدر: خيره، وشره. [وهذه جملة من الآيات والأحاديث التي تتكلم عن القدر عمومًا].

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾ [القمر: ٤٩] الآيات، (وهذا عام في كل مخلوق فإنه يسير وفق قدر الله وقضائه ولا يدخل في عموم هذا اللفظ (كل شيء) القرآن ولا أسماء الله ولا صفاته فإنها غيرُ مخلوقة)، وقال تعالى: ﴿**وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا**﴾ [الأحزاب: ٣٨] (أي مقدراً تقديراً سابقًا)، وقال تعالى: ﴿**وَكَانَ**

(١) عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «**إن أمر هذه الأمة لا يزال مقاربًا** - وفي رواية «**مقاربًا أو مواما**» - **حتى يتكلموا في الولدان والقدر**».

▪ **مواما**: أي التكلم فيما لا يعنيهم قاله أبو موسى المديني. (صحيح): صححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٥١٥)، وصحيح الجامع برقم (٢٠٠٣).

(٢) قال ﷺ: «**عزمت عليكم ألا تنازعوا في القدر**» (حسن): حسنه الألباني في تخريج أحاديث جامع الترمذي برقم (٢١٣٣).

أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً ﴾ [الأحزاب: ٣٧] (أي لا بد من وقوعه وحدوثه فلا راد لقضاء الله.

والمقصود من الأمر ها هنا الأمر الكوني الذي لا يتخلف أبداً، وأما الأمر الشرعي فقد أمر الله العباد به فمنهم من استجاب ومنهم من أبى) وقال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ [التغابن: ١١]، (وهذه آية عظيمة وفيها عدة فوائد:

١- قوله تعالى: ﴿ مِن مُّصِيبَةٍ ﴾ أي من بداية ما يقال لها مصيبةٌ، فالمصائب الصغيرة والكبيرة كلها بإذن الله حتى أدق المصائب فزيادة كلمة «مِنْ» يدل على العموم.

٢- قوله تعالى: ﴿ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ ﴾ ولم يقل «يؤمن بالقدر» دليل على أن الإيمان بالقدر في الأساس إيمان بالله فمن زعم أنه يؤمن بالله وهو لا يؤمن بالقدر فهو كاذب.

٣- قوله ﴿ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ دليل على أن الإيمان بالقدر سبب للهداية وليس كلاماً نظرياً مجرداً ولكنه تطبيق وتنفيذ عملي.

٤- قال علقمة في هذه الآية «هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم فكانت عاقبة الإيمان بالقدر الصبر بل الرضا»[١].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٦٦]، (أي ما أصابكم يومَ أُحُدٍ فبإذن الله وتقديره، وهذا إذن كوني قدّره، ولكن لم يأذن الله شرعًا في هذا، وفي هذه الآية دلالة على أن الأقدار المؤلمة للمؤمنين وإن كان بعضها مما لا يحبه الله شرعًا، كتسلط الكفار عليهم وقتل بعضهم وأسره فإنها بقدر الله لمصلحة الدين، فهذا الدين دين الله ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣] وهذه الأمة يحبها الله، ففي الحديث: «أنتم توفون مائة أمة أنتم أكرمها على الله»[٢]،

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٤ / ٣٧٥ ط. مصر.

(٢) وفي رواية: «إنكم تتمون سبعين أُمّة أنتم خيرها وأكرمها على الله». (حسن): حسنه الألباني في صحيح الجامع، رقم (٢٣٠١٠٠).

فالله يدبر للمؤمنين ويكيد لهم ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦)﴾ [الطارق: ١٥، ١٦]، فلا ينبغي الخوف على هذا الدين فهو منتصر بإذن الله ولو بعد حين)
وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)﴾ [البقرة: ١٥٥- ١٥٧]، (وهذه آية جليلة القدر وفيها من معاني الإيمان الكثير:

١- قوله تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ أي مُلك لله يَفعل بنا ما يشاء لا يلام ولا يذم على تصرفه في ملكه، كمن وهب لك عارية تستعملها ثم أراد أخذَها منك، فلا يصح أن تعترض على طلبها منك، فكذلك لا يُعترض على الله فيما أخذ من العباد.

٢- قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ أي لو صبرنا جازانا أحسن الجزاء، ولو جزعنا عاقبنا أشد العقاب، إذ الصبر من واجبات الدين ويصح أن يكون المعنى لا بد أن نرجع إلى الله، طالت الحياة أو قصرت وألم المصيبة ينتهي بانتهاء الدنيا، أننا لابد أما البؤس الخالد الدائم فهو في النار، والنعيم الخالد الدائم فهو في الجنة.

٣- قوله تعالى: ﴿صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ أي يثني عليهم في الملأ الأعلى، وما أعظمها من منة، فالعبد لو أثنى عليه رئيسه في العمل الدنيوي لفرح فرحًا شديداً يهّون عليه كل ما عاناه في هذا العمل، فكيف بثناء الله في الملأ الأعلى.
وعن عمر رضي الله عنه [انظر تفسير ابن كثير ١ / ١٩٧]، أنه قال في هذه الآية (نعم العدلان ونعمت العلاوة). وفي كلامه رضي الله عنه معنى بديع، فالعدلان ما يوضعان على ظهر البعير ليتحمل ما يوضع عليه، الذي هو العلاوة، فكذلك الهداية التي هي العلاوة لا تكون لك أيها الصابر إلا بثناء الله ورحمته وهما العدلان، فكأن كل خير للصابر هو من فضل الله لا من فعله العبد، فاحذروا أيها الصابرون من العُجب بالنفس والرضا عنها.

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧) وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ (١٠)﴾ [الليل: ٥- ١٠]، وفي هذه الآيات عدة فوائد:

١- الرد الصحيح على السؤال المشهور هل الإنسان مسير أم مخير فنقول هو ميسر، لا مسير مطلقًا ولا مخير مطلقًا وهذا السؤال خاطئ، كمن يسأل (٤ + ٥) هل هي (١٠) أم (٨)، فنقول: كلا الجوابين خطأ، بل هي (٩) فليس الإنسان مسيراً بمعنى لا إرادة له، ولا اختيار، وليس بمخير بمعنى أنه مطلق في الاختيار لا سلطان لله على قلبه ومشيئته، بل إن كلاً من الجبر المطلق والاختيار المطلق باطل. فالجبر طعن في التشريع، ونفي مشيئة الله طعن في التوحيد « واعملوا. فكل ميسر لما خُلق له » [جزء من حديث متفق عليه].

٢- فيها أن أفعال الرب بالعبد تيسير له، سواء لليسرى أو للعسرى، فالعبد فاعل والله عز وجل هو الذي يسّر له فعله.

٣- الحث على الأخذ بأسباب الخير فمن أراد الهداية فليأخذ بأسبابها من التصديق والعمل الصالح، وفيها الحذر من التكذيب والعمل الطالح فهما سبب لتيسير المعاصي والعسرى.

٤- قوله تعالى: ﴿**فَسَنُيَسِّرُهُ**﴾، ولم يقل « فسوف »، والسين للمستقبل القريب وسوف للمستقبل البعيد، ففي الآيات زيادة لرجاء المؤمن، إذ تيسير اليسرى يعقب الأخذ بأسباب الخير، وفيه أيضًا زيادة تخويف العاصي، إذ تيسير العسرى يعقب الأخذ بأسباب المعاصي.

٥- الإيمان الجازم بأن الأمر بيد الله فلا وجه للتعلق بالعباد أو خشية سلطانهم، وتأمل التعبير القرآني العظيم، يقول تعالى: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ**﴾ فمع أن الخوف قد يكون بسبب من العباد وكذلك الجوع إلا أن الله نسبهما إلى نفسه وقال ﴿**لَنَبْلُوَنَّكُم**﴾ أي نحن لا العباد وذلك ليتعلق المؤمن بالله لا بالعباد].

وقال تعالى: ﴿**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾



[الفاتحة: ١-٦] إلى آخر السورة. (وهذه الآيات من أعظم الدلائل على أهمية الإيمان بالقدر إذ فرض الله على العباد تَذكّرهُ ومراجعتَه في القلب في كل صلاة بل في كل ركعة في فاتحة الكتاب، ففي قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: إثبات لفعل العبد الذي على أساسه يُحاسب؛ وإثبات أيضًا لشهوده أنه يفعل، خلافًا لمن قال يفنى الإنسان عن رؤية فعل نفسه ويرى الله وحده هو الفاعل، وهذا قول باطل سنوضحه فيما بعد إن شاء الله. وأما قوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: ففيه إثبات قدرة الرب على أفعال العبد الاختيارية، فلولا أن الله يعين العبد عليها لما قدر على فعلها، فاستعانة العبد بالله لا غنى له عنها، فالله هو الذي يعرّفه الحق ويخلق في قلبه محبة الحق وإرادته ويرزقه العمل به ثم المواظبة عليه، فلا غنى عن الله طرفة عين).

■ **وقال مسلم - رحمه الله تعالى -: حدثنا عبد الأعلى بن حماد قال: قرأت على مالك بن أنس (ح) وحدثنا قتيبة بن سعيد عن مالك فيما قرئ عليه عن زيادة بن سعد عن عمرو بن مسلم عن طاووس أنه قال: أدركت ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون «كل شيء بقدر». قال: وسمعت عبد الله بن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «كل شيء بقدر، حتى العجز والكيْس»، أو «الكيْسُ والعجز»[1].**

[الشرح]:

العجز قسمان: أ- عجز لعدم وجود الآلة كاليد المشلولة والأذن الصماء فهذا لا يذم صاحبه ولا يكلف المرء على أساسه، وهذا العجز بقدر الله.

ب- عجز بمعنى ضعف الإرادة والتكاسل عن الطاعة بحيث لا يكاد يجد العبد في قلبه رغبةً في الطاعة فهذا عجز مذموم، لأنه ما صار العبد إلى هذا العجز إلا بإدمانه للمعصية وتركه للطاعة، فالمدمن آثم مع كونه لا يستطيع ترك الإدمان لكونه المتسبب في عجز نفسه، وهذا العجز أيضًا بقدر الله. وأما الكيس في الحديث فهو حُسْن العقل واستغلاله في مرضاة الله.

---

(١) إذ أخرجه مسلم في كتاب القدر رقم (٢٦٥٥)، ومالك في الموطأ (١٥٩٥)، والإمام أحمد في مسنده (٥٨٩٣) والبيهقي في كتاب الشهادات (٢١٤٠٧).

■ **حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب قالا: حدثنا وكيع عن سفيان عن زياد بن إسماعيل عن محمد بن عياد بن جعفر المخزومي عن أبي هريرة قال: (جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر. فنزلت: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾**[١] [القمر: ٤٨، ٤٩]

[الشرح]:

مخاصمتهم في القدر على معنيين: أ- أنهم يقولون لو شاء الله ما أشركنا، ومادمنا أشركنا بإرادة الله فالله يحب منا هذا، إذاً فلا عقاب ولا لوم علينا. وهذا ضلال، إذ إرادة الله الكونية لا تعني حبه لما يريده كونًا، فالله قد يريد ويقدر كونًا ما لا يحبه شرعًا لما يترتب عليه من مصالح وحِكَم يحبها ويرضاها.

ب- أنهم يقولون نحن الذين نتحكم في أفعالنا والله لا قدرة له على أفعالنا الاختيارية. وهذان القولان متناقضان إذ كيف يقولون أولاً: إن الله هو الذي جعلنا نعمل المعاصي ثم يقولون: نحن الذين نتحكم في أفعالنا دون تدخل قدرة الله. وهذا يدل على عدم استقامة أقوال أهل البدع وعلى تناقضها، بعكس أقوال أهل السنة فإنها لا تختلف ولا تتناقض بحمد الله.

* في هذا الحديث رد على من إذا دعي إلى الصلاة قال (لما ربنا يهديني) كأنه يقول بلسان حاله: (أنا معذور لأن الله لم يرد هدايتي فلا لوم علي) وهذا الكلام شر من معصيته لأنه اعتقاد فاسد، وما أشبهه بإبليس إذ يقول ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ كأنه يقول أنت السبب يا رب فلا لوم عليّ. فنقول لهؤلاء: إن لكم قدرة وإرادة بهما تستطيعون إتيان الطاعات وترك المعاصي، وإن كنتم تقولون: إن الهداية هداية الله فالله، وإن كنتم تقولون إن الهداية هداية الله، قلنا لكم: والرزق أيضاً رزق الله، فالله هو الرزاق. فإن قلتم: إن لا بد من الأخذ بأسباب الرزق قلنا لكم ولا بد من الأخذ بأسباب الهداية كذلك.

* قوله تعالى: ﴿كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ نص على أن الله خلق العباد وأفعالهم وفيه رد أيضًا على من يقول إذا تكلمنا في القدر قلنا «قَدَّر اللهُ أفعالَ العباد» ولم نقُلْ «خَلَقَ اللهُ أفعالَ العباد» حتى لا يُفهم الأمر خطأً. فها هو نص الكتاب ﴿كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ ليدل على خلق الله لأفعالِ العبادِ.

---

(١) رواه مسلمٌ في القدر برقم (٢٦٥٦)، وابن ماجة (٨٣)، والترمذي (٢١٥٧) وصححه الألباني.

■ **وقال البخاري - رحمه الله تعالى - باب: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾** [الأحزاب: ٣٨]، **حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: (قال رسول الله ﷺ: «لا تسألِ المرأةُ طلاقَ أختِها لتستفرِغَ صحْفَتَها ولْتَنكِحْ فإنّ لها ما قُدِّرَ لها»)**(١).

[الشرح]:

* قوله «تستفرغ صحفتها» أي تنال هي عطاء الزوج وصحبته وحدها.

* وفي هذا الحديث تحريم سؤال المرأة هن يتقدم للزواج منها وهو متزوج غيرها تحريم أن تسأله طلاق الزوجة الأولى، وكذلك لو كان للرجل زوجتان فيحرم على أحدهما أن تقول له: إما أن تطلقني أو تطلقها.

■ **حدثنا مالك بن إسماعيل حدثنا إسرائيل عن عاصم عن أبي عثمان عن أسامة قال: كنت عند النبي ﷺ إذ جاءه رسول إحدى بناته - وعنده سعد، وأُبيُّ ابن كعب، ومعاذ - أن ابنها يجود بنفسه، فبعث إليها: «لله ما أخذ، ولله ما أعطى، كل بأجل، فلتصبر ولتحتسب»**(٢).

[الشرح]:

* هذا الدعاء أفضل ما يقال للعزاء، بدلاً من قول الناس «**البقية في حياتك**» فهي كلمة خاطئة تنافي الإيمان بالقدر، لأن كل عبد يموت مستوفيًا أجله ولم تبق له بقية، ولو بقيت لعاش حتى يستوفيها ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾

[الأعراف: ٣٤]

* في قوله «فلتصبرْ ولتحتسبْ» بيان أن سبب الصبر والاحتساب هو شهود أن الكل ملك لله، والكل بأجل مقدر، ولا بد من الموت إن عاجلاً أو آجلاً.

■ **حدثنا حبان بن موسى أخبرنا عبد الله أخبرنا يونس عن الزهري قال: أخبرني عبد الله بن محيريز الجمحي أن أبا سعيد الخدري أخبره أنه بينما هو**

---

(١) رواه البخاريُّ في كتاب القدر برقم (٦٢٢٧) ومسلم في النكاح (٣٥٠٨).

(٢) رواه البخاري في كتاب القدر برقم (٦٢٢٨)، ومسلم بنحوه في الجنائز برقم (٩٢٣) وغيرهما.

جالس عند النبي جاء رجل من الأنصار فقال: يا رسولَ الله، أنا نُصيبُ سَبْيًا، ونحب المال، كيف ترى في العزل؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «أَوَ إنكُمْ تفعلون ذلك؟ لا عليكم أن لا تفعلوا؛ فإنه ليست نسمة كتب الله أن تخرج إلا هي كائنة»[1].

[الشرح]:

* ومعنى الحديث أن الصحابي أراد أن يعزل عن أَمَتِه حتى لا تَحْمل منه، إذ لو حملت لصارت أمَ ولدٍ لا يجوز بيعها، وهو يريد بيعها ليكسب مالاً. والعزل هو قذف المنيِّ خارج رحم المرأة بعد الجماع.

* قوله في الحديث: «**أو إنكم تفعلون**» استفهام إنكار فهو أقرب للنهي، قوله «**لا عليكم أنْ لا تفْعلوا**» أي لا ضرر عليكم ولا مشقة إن تركتم العزل.

فوائد:

١- حكم العزل ومثله وسائل منع الحمل الأخرى:

أ- مكروه وليس بحرام بشروط:

- ألا يكون ذلك خوفًا من الرزق لقوله تعالى: ﴿**وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ**﴾ [الإسراء: ٣١].
- أن يكون برضا الزوجين فيما بينهما.
- ألا يكون مدى الحياة رذ في هذا قطع لنسل المسلمين وفي الحديث يقول النبي: «**تناسلوا تكاثروا فإني مباهٍ بكم الأمم يوم القيامة**»[1]. «**تزوّجوا فإني مكاثِرٌ بكم الأمَمَ ولا تكونوا كرهبانيةِ النصارى**».
- ألا تكون هناك دعوة عامة إليه فمن دعا إليه دعوةً عامة فهو آثم، كحملات تنظيم الأسرة وما غرضها إلا تقليل نسل المسلمين والقضاء على كثرتهم والله المستعان.

ب- حرام: لو فقد شرطًا من الشروط السابقة.

جـ- مباح: لو كان لحاجة، كمرض الأم فيجوز العزل بناء على قول طبيب ثقة لأن المكروه تزول كراهته للحاجة.

٢- العزل من الأسباب المنهي عنها، فالأسباب على أقسام:

---

(١) رواه البخاري في كتاب القدر برقم (٦٦٠٣)، ومسلم في كتاب النكاح برقم (١٤٣٨) وغيرهما.

(٢) رواه أبو داود (٢٠٥٠) وابن ماجه (١٨٤٦) والحاكم في المستدرك (٢٦٨٥) والبيهقي في الكبرى (١٣٢٣٥، ١٣٤٥٣) وصححه الألباني (٥٢٥٢ - ١١٧٥٣ - الجامع الصغير) و (٣٠٩١ - المشكاة).

أ- أسباب غير مشروعة: كالعزل وطلب المال الحرام.

ب- أسباب مشروعة: كالأعمال المباحة في طلب الرزق فيجوز الأخذ بها، وكالدعاء فهو مشروع لدفع البلاء، وكأخذ الدواء لحديث «تَداوَوْا عِبادَ الله»(١) فيستحب أخذ الدواء.

٣- الإيمان بالقدر والعلم بالله يوجب للعبد ترك الأسباب غير المشروعة وذلك لعلم العبد أنه لا بد من وقوع قدر الله، ولعلم العبد أن هذه الأسباب لا يرضاها الله فربما طلب المال الحرام من ربا ورشوة فمحق الله بركته، كما قال تعالى: ﴿**يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ**﴾ [البقرة: ٢٧٦].

٤- في الحديث بيان أن العزل كغيره من الأسباب قد يلغي اللهُ أثرَها أحيانًا ليعرف العباد أن الرب هو الذي يدبر الكون لا الأسباب، وقد علمنا مَنْ حَمَلَتْ مع كَوْنِها قد استعملت أقوى الوسائل لمنعِ الحمل، والله على كل شيء قدير.

■ **وقال رحمه الله تعالى: حدثنا بشر بن محمد أخبرنا عبد الله أخبرنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لا يأتي ابن آدم النذر بشيء لم يكن قدْ قدَّرته، ولكنْ يُلْقِيه القَدَرُ وقد قَدَّرْتُهُ له، أَسْتَخْرِجُ به مِنَ البَخيلِ»(٢).**

[الشرح]:

* في هذا الحديث النهي عن النذر المعلق لا المطلق، فالمعلق: أن يقول العبد: لئن فعل الله لي كذا فله عليَّ كذا، فهذا دليل على بخله، إذ ما سمِحتْ نفسُه بالصدقة أو بالعمل الصالح إلا لو آتاه الله ما طلب، ولذلك كُرِهَ عَقْدُه وإن كان يلزم الوفاء به. وأما النذر المطلق فهو أن ينذر العبد ابتداءً إلزامًا لنفسه بالطاعة فهذا مشروع عقده، ويلزم الوفاء به أيضًا كأن يقول: لله علي أن أفعل كذا وكذا. وقوله في الحديث الآتي: «فيُؤتِي» أي يُعطي البخيلُ لو حقق الله طلبه يعطي ما لم يكن يعطي من قبل أن يعطيه الله ما سأل. وفي رواية ابن ماجة «**فيُيَسَّرُ عليه ما لم يكن ييسر عليه من قبل ذلك**» انظر فتح الباري (١١ / ٥٨٨).

---

(١) (صحيح): رواه أحمد في مسنده عن أسامة بن شريك برقم (١٨٩٥٢)، والحميديُّ في مسنده برقم (٨٦٢)، وصححه الشيخ الألباني في تخريج سنن ابن ماجة برقم (٢ / ١١٣٧).

(٢) رواه البخاري في كتاب القدر برقم (٦٢٣٥)، ومسلم في النذور (١٦٣٩) و(١٦٤٠) بنحو وغيرهما، وابن ماجة (٣٤٣٦) والترمذي (٢٠٣٨) والطبراني في الكبير (٤٦٤) وصححه الألباني (٣٨٩٤) الجامع الصغير و (٧٩٣٤ - صحيح الجامع).

■ وقال أيضاً: حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزنا عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «لا يأتي ابن آدم النذر بشيء لم يكن قد قدر له ولكن يلقيه النذر إلى القدر قد قدر له؛ فيستخرج الله تعالى به من البخيل، فيؤتي عليه ما لم يكن يؤتي عليه من قبل»(١).

■ وقال مسلم - رحمه الله تعالى -: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وابن نمير قالا حدثنا عبد الله بن إدريس عن ربيعة بن عثمان عن محمد بن يحيى بن حبان عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قَدَرُ الله وما شاء فعل؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان»(٢).

[الشرح]:

* وهذا الحديث من أعظم أحاديث القدر وأنفعها وفيه فوائد جمة:

أ- قوله «المؤمن القوي» أي في عزمه وإرادته فهو قوي القلب، خير من ضعيف الهمة وما أحسن ما قاله بعض السلف «لو أنكم تهتمون بدينكم كما تهتمون بدنياكم لكفاكم ذلك» وصدق والله فالعبد تجده مهتماً بسكناه في شقة فيها كذا وكذا من السجاد وكذا وكذا من الأثاث مع أنه لا يهلك بتركها، ويكفيه شيء يسير ولكنه يأبى إلا الكمال، أما في دينه فيرضى باليسير من العمل الصالح ويقول (أنا أحسن من غيري)، ثم يقارن نفسه بالعصاة، فشارب الدخان يقول أنا أحسن من شارب المخدرات ومن يصلي في بيته يقول: أنا من أحسن ممن لا يصلي ... فيا ليتهم يحرصون على كمال الدين كما يحرصون على كمال الدنيا.

ويدخل في القوة أيضاً قوة البدن لإرهاب عدو الله، أما من استغل قوته في المعصية فلا خير فيها بل هي وبال عليه.

---

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة في كتاب الأيمان والنذور برقم (٦٦٩٤)، ومسلم عن أبي هريرة أيضاً برقم (٤٣٣١).

(٢) رواه مسلم في كتاب القدر برقم (٢٦٦٤)، والبيهقي في كتاب آداب القاضي برقم (٢٠٦٦٨)، وابن ماجة برقم (٧٩، ٤١٦٨) وأحمد (٨٧٧٧، ٨٨١٥)، والبيهقي في الكبرى (١٩٩٦) والنسائي في الكبرى (١٠٤٥٧، ١٠٤٦١).



ب- قوله «احرص» دليل على أن العبد له إرادة واختيار ردًا على الجبرية الذين يقولون إن العبد مجبر لا إرادة له. وقوله «احرص» يدل كذلك على وجوب الأخذ بالأسباب خلافًا لبعض الصوفية الذين يقولون: لا نأخذ بالأسباب ونتوكل على الله، وجهلوا أن ترك الأخذ بالأسباب تواكلٌ وليس توكلاً.

● وأعظم ما ينفع الإنسان في الدنيا والآخرة هو طاعة الله، فينبغي أن تكون طاعة الله أكثر ما يحرص عليه العبد.

جـ- قوله «على ما ينفعك» دليل على وجود أسباب نافعة بإذن الله، وفيه رد على الأشاعرة الذين ينكرون أثر الأسباب بالكلية.

● الأسباب المأمور بالحرص عليها هي المشروعة أو المباحة أما المحرمة أو المكروهة فنفعها ضار في الحقيقة، ونفعها غير معتبر شرعًا.

د- قوله: «استعن بالله» رد على القدرية الذين يقولون: لا قدرة إلا للعبد، والرب لا قدرة له على أفعال العباد الاختيارية فقوله «استعن بالله» دليل على وجود قدرة الله وإرادته وعلى شمولها لأفعال العباد.

هـ- قوله «لا تعجز» أي لا تأتِ بأسباب العجز المذموم الناشئ عن تكاسل العبد وإدمانه للمعاصي، ولا يدخل في هذا العجزُ الذي لا دخل للعبد فيه: كشلل يده وخرس لسانه، فإنه عجز غير مذموم.

● وكان النبي ﷺ يدعو فيقول: **«وأعوذ بك من العجز والكسل»** فمعنى هذا كما قدمنا الاستعاذة بالله من العجز والكسل الناشئين عن إدمان المعصية أو ترك الطاعة وفي هذا الحديث جواب لتساؤلات الكثير عن حكم العشق والعادة السرية مع كون الإنسان لا يستطيع تركها فنقول: لو أنه غض بصره ولو أنه ما أدام النظر إلى الحرام لما عشق ولما فعل العادة السرية، فكونه عاجزًا عن تركهما فبسبب تقصيره هو فهو آثم لا عذر له فحذار من الجري وراء الشهوات، فمعهما يصل العبد إلى درجة لا يستطيع معها إتيان الطاعة أو ترك المعصية.

و- قوله «إن أصابك شيء» أي خارج عن إرادتك وقدرتك ولا يتعلق بالشرع المأمور به، أما لو كان يتعلق بالشرع فقول (لو) جائز بشروط سيأتي تفصيلها إن شاء الله.

ز- قوله لا تقل «لو» أي التي فيها سخط وجزع على القدر فقول (لو) له حالات:

● إذا قالها ندمًا على مخالفته للشرع المأمور به شُرع، كقول القائل لو أني أطعت الله لكان خيرًا لي. وكذلك لو قالها ندمًا على فعل ما هو خلاف الأولى شُرع أيضًا ففي الحديث **«لولا أني سقت الهدي لجعلتها عمرة»**[١].

---

(١) رواه أبو داود (١٩٠٥) وأحمد (١٤٤٨٠) والطبراني في الأوسط (١٠٦٩) والبيهقي في الكبرى

● إذا قالها في بيان الشرع شُرع كقول الله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وكقول عائشة: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما غسّل رسول الله إلا نساؤه»(١).

● إذا قالها ندمًا وسخطًا على قدر الله لم يجز، وفيها ورد النهي.

ي- قوله «تفتح عمل الشيطان» أي يترتب عليها شر أكبر وأعظم من الذي ندم عليه المرء.

● والأفعال قسمان:

أ- أفعال اختيارية: وعليها يحاسب العباد كالصلاة والذكر والزنى والسرقة، وهذا ما اختلف فيه الناس، فقالت المعتزلة: لا قدرة لله عليها، وقالت الجبرية: لا قدرة للعباد عليها بل هي كالاضطرارية، وقال أهل السنة: هي بقدر الله فإن الله على كل شيء قدير، وللعباد إرادة وقدرة عليها، والله خلقهما لهم وبهما تقع أفعالهم.

ب- أفعال اضطرارية: تنسب إلى العباد مجازًا، كقولك مات العبد، دق القلب، ولدت المرأة، وهذه أفعال لا يجازى عليها العباد ولا يختلف الناس في شمول قدرة الله وإرادته لها.

■ وفي حديث ابن عباس في الترمذي وغيره قول النبي ﷺ له: «**واعْلَمْ أنَّ ما أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وما أَخْطَأَكَ لم يَكُنْ لِيُصِيبَكَ**»(٢) الحديث.

[الشرح]:

* ومن آمن بهذا سعد عند المصائب ولم يجزع، فأما سعادته فهي لأن في المصائب نعماً لا تحصى، وفي الحديث «**ليودن أهل العافية أن لو قرضت جلودهم بالمقاريض لما يرون من ثواب أهل البلاء**»(٣) فعلى المؤمن أن يتفكر في هذا عند نزولها أول ما تنزل، إذ الصبر عند الصدمة الأولى، وأما عن عدم جزعه فذلك لعلمه بأنه لابد أن يصيبه هذا الذي أصابه، سواء أأراد البشر أم لا.

(٨٦٠٩). (**صحيح**): صححه الشيخ الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير برقم (٥٢٥٥) وفي سنن أبي داود برقم (١٩٠٥).، (١٦٧٦ - صحيح أبي داود).

(١) رواه أحمد بلفظ «... **وكانت تقول لو استقبلت من الأمر ما استدبرت ما غسل رسول الله ﷺ إلا نساءه**» (٢٦٣٤٩ - مسند الأنصار) وأبو يعلى (٤٤٩٤) بلفظ «**لو استقبلت من أمري ...**» وحسنه الألباني (٣ / ١٦٣ - ارواء الغليل)..

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١١٢٤٣) والحاكم (٦٣٠٤) والبيهقي (١٠٠٠١).

(٣) «**يود أهل العافية يوم القيامة حين يُعْطي أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم قرضت في الدنيا بمقاريض**». (**حسن**): رواه الترمذي برقم (٢٤٠٢) وحسنه الألباني في الصحيحة برقم (٢٢٠٦). و (٩٦١٦) ١٤١٣٧ - الجامع الصغير) والبيهقي في شعب الإيمان (٩٩٢١).



■ والأحاديث في القدر كثيرة جداً، قد تقدم منها أشياء متفرقة، وسنذكر منها ما ييسره الله عز وجل في هذا الباب.

(فصل) واعلم رحمك الله تعالى، ووفقنا وإياك لما يحبه ويرضاه، وهدانا وإياك صراطه المستقيم أن الإيمان بالقدر على أربع مراتب:

المرتبة الأولى: الإيمان بعلم الله عز وجل المحيط بكل شيء من الموجودات، والمعدومات، والممكنات، والمستحيلات، فعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وأنه علم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم، وعلم أرزاقهم، وآجالهم، وأحوالهم، وأعمالهم في جميع حركاتهم، وسكناتهم، وشقاوتهم، وسعادتهم، ومن هو منهم من أهل الجنة ومن هو منهم من أهل النار من قبل أن يخلقهم، ومن قبل أن يخلق الجنة والنار، علم دق ذلك وجليله، وكثيره وقليله، وظاهره وباطنه، وسره وعلانيته، ومبدأه ومنتهاه، كل ذلك بعلمه الذي هو صفته ومقتضىٰ اسمه العليم الخبير، عالم الغيب والشهادة علام الغيوب، كما قال تعالىٰ: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الحشر: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ﴾ [سبأ: ٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]، ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ [النجم: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿أَوَ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ١٠].

[الشرح]:

* أي هو أعلم بالمشاعر والخواطر والإرادات التي لا حد لها وقد لا يشعر بها الإنسان، فالنفس كالبحر العميق بل أعمق، فلا يعلم غوره وبعده إلا الله، وربما كان في قلب الإنسان إرادات دفينة لا يعلمها إلا الله، ولذلك لا يجزم إنسان لنفسه بالإخلاص، ولعل من أهم

فوائد الإيمان بعلم الله الشامل أن يعرف الإنسان خطورة ما في باطنه فيزداد خوفه من الله.

■ **وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾** [البقرة: ٣٠] **الآيات.**

[الشرح]:

* فالملائكة سألت عن الحكمة من خلق الإنسان مع أنه سيوجد منه العصيان والقتل، وهي تسبح الله وتعبده، فأعلمهم الله أنه سيوجد من جنس الإنسان أنبياء وصديقون وشهداء وصالحون، فهو سبحانه أراد أن توجد طاعة وسط من يفسد ويعصي، فالملائكة تعبد في وسط مليء بالعبادة والتسبيح وهذا بعكس ما يحيط بالإنسان من معاص، ولذلك تجد في كثير من الأحاديث أن الله يباهي بعباده المؤمنين الملائكة كحديث «**كيف تركتم عبادي**»(١) وكحديث مباهاة الله بعباده الحجاج يوم عرفة(٢) وذلك لتعرف الملائكة ما في خلق الإنسان من حكم ومصالح.

● في قوله تعالى: ﴿**إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ**﴾ تسلية لكل مصاب ومبتلى ومحروم أن الله اختار له ذلك ولربما ترتب على البلاء نعمة وعلى العافية شر، فاختار الله لعبده البلاء فيكون نعمة على العبد، وما أجمل ما قاله بعض السلف «إذا طلبت من الله شيئًا فلم يعطك إياه فلا تلومن الله على اختياره فإن الله لا يمنع بخلاً ولا عجزًا».

● ومن تحقق علم الله العظيم وعرف حقيقة نفسه كان دعاؤه كدعاء النبي ﷺ: «**اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري**» فالنبي قاله تواضعًا وحقيقة، فالإنسان لا علم له بالنسبة إلى علم الله وهذا الخضر عليه السلام يقول لموسى عليه السلام: «ما علمي وعلمك وعلم الخلائق في علم الله إلا كما أخذ هذا العصفور من هذا البحر»(٣) وما هذا الإنسان في خلق الله؟

---

(١) رواه البخاري (٥٣٠ - المواقيت، ٣٠٥١ - بدء الخلق، ٦٩٩٢، ٧٠٤٨ التوحيد كتاب مواقيت الصلاة برقم (٥٥٥)، ومسلم في كتاب المساجد برقم (١٤٦٤).

(٢) رواه مسلم في الحج (١٣٤٨) والنسائي (٣٠٠٣) وابن ماجه (٣٠١٤).

(٣) رواه البخاري في كتاب العلم برقم (١٢٢) وفي كتاب أحاديث الأنبياء برقم (٣٢٢٠)، ومسلم في كتاب الفضائل برقم (٢٣٨٠)، وغيرهما.



فالكرة الأرضية كلها والكواكب جزء من مجرة، والفضاء مليء بملايين المجرات، وكل هذا في يد الله كحبة الخردل في يد أحدنا وهو سبحانه يعلم عدد مخلوقات الكون كله صغيرها وكبيرها جمادها ونباتها وحيوانها وإنسها وجنها، من ولد ومن مات ومن سيولد ومن سيموت يعلم تفاصيل ذلك كله فما أجهل الإنسان؟؟؟ وما أعظم علم الله؟؟

■ **وقال تعالى: ﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾** [البقرة: ٢١٦].

[الشرح]:

* قوله « والله يعلم وأنتم لا تعلمون » أي أنتم لا تعلمون أشياء كثيرة، فما علمتموه تجزمون معه بأن ما تجهلونه عنه أكثر مما علموه، وعلماء الفلك كذلك وعلماء كل مجال كذلك، علمتموه فتبًا لأصحاب القلوب المريضة من العلمانيين الذين يزعمون أنهم قد وصلوا إلى علم كل شيء، حتى ظهر منهم من يقول « قد انتهى دور الإله » وقال الآخر « نشأة السوبر مان هو موت الإله » بل زعموا أنهم يعرّفون الخير للعباد، فشرّعوا مناهج وضعية زعموا أنها أليقُ بحياة الناس اليوم وهذا كله تلبيس وخداع للناس إذ هم في قرارة أنفسهم يعلمون أنهم لا يستطيعون شيئًا، وما مثال النعجة (دولل)ي ببعيد فقد قالوا وقت ظهورها: نحن قادرون على خلق الحيوانات وتحديد الصفات، التي نريدها في المولود، وقالوا: سنتحكم في المولود فنزيد نسبة الذكاء فيه ونغير كذا وكذا من الصفات وهذا كله هراء لا أساس له في الحقيقة بل النعجة نفسها ماتت، وما كانت أصلاً إلا أخذ مخلوق من مخلوقات الله ثم زرعه في داخل مخلوق آخر - لو صدقوا وما نراهم صادقين - أما أن يستطيعوا ابتداء صنع بويضة أو رحم فهذا محال وقد قال تعالى: **﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ﴾** [الحج: ٧٣].

■ **وقال البخاري رحمه الله تعالى: باب (الله أعلم بما كانوا عاملين)، حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة، عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سئل النبي ﷺ عن أولاد المشركين فقال: « الله أعلم بما كانوا عاملين »**[1].

---

(١) رواه البخاريُّ في كتاب القدر برقم (٦٢٢٤)، ومسلم في كتاب القدر أيضًا برقم (٢٦٥٩) وغيرهما

■ **حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب قال وأخبرني عطاء بن يزيد أنه سمع أبا هريرة يقول: سئل رسول الله ﷺ عن ذراري المشركين، فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»[١].**

[الشرح]:

● قوله (الله أعلم بما كانوا عاملين) قبل أن يوحى إليه كونهم في الجنة فليس في الحديث أن الله سيحاسب الأطفال على الأعمال التي لو عاشوا لعملوها، ولكن فيه الإخبار عن علم الله بذلك، فالله يعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون، وهو يعلم لو عاش الأطفال ماذا كانوا سيعملون.

● وقد اختلف العلماء في أطفال المشركين على أربعة مذاهب:

١- فريق قال (هم من أهل النار) ولهم على ذلك أدلة:

أ) لقول عائشة رضي الله عنها سألت رسول الله ﷺ عن ذراري المؤمنين؟ فقال: «هم مع آبائهم قلت: فذراري المشركين؟ قال: هم مع آباءهم، قلت: بلا عمل؟ قال: الله أعلم بما كانوا عاملين»[٢].

ب) لحديث عليٍّ: سألت خديجة رضي الله عنها رسول الله ﷺ عن أولادها منه، فقال رسول الله ﷺ: «إن المؤمنين وأولادهم في الجنة وإن المشركين وأولادهم في النار»[٣].

ج) لحديث: «الوائدة والموءودة في النار»[٤].

د- لحديث: (سئل رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين؟ فقال: «هم من آبائهم»)[٥].

---

(١) «سبق تخريجه».

(٢) (**صحيح**): رواه أبو داود وصححه العلامة الألباني برقم (٤٧١٢)، واسحاق بن راهويه (١٦٧١) والطبراني في مسند الشاميين (٨٤٣).

(٣) رواه عبد الله بن أحمد في المسند (١١٣١) بسند ضعيف فيه محمد بن عثمان قال عنه الذهبي في الميزان: لا أدري من هو فتشت عنه وله خبر منكر ثم ساق هذا الحديث، وقال ابن الجوزي في جامع المسانيد: محمد بن عثان لا يقبل حديثه ولا يصح في تعذيب الأطفال حديث، وقال الشيخ الألباني: وهذا الحديث منكر بل باطل لمخالفته لظاهر قوله تعالى: ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً**﴾ فإذا كان لا يعذب العاقل لأنه لمك تبلغه الدعوة فلأن لا يعذب غير العاقل من الأولاد من باب أولى ولمخالفته للأحاديث الكثيرة الدالة على أن أولاد المشركين في الجنة) أهـ. باختصار من ظلال الجنة.

(٤) رواه أبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٧١٤٢). وزاد أحمد (١٥٩٦٥) من رواية سلمة بن يزيد الجعني: «**إلا أن تدرك الوائدة الإسلام فيعفو الله عنها**»، والزيادة صحيحة في صحيح الجامع برقم (٧١٤٣)، وبدلاً من فيعفو الله عنها، ورد لفظُ «**فَتُسْلم**» في رواية أخرى.

(٥) (**صحيح**): رواه أبو داود برقم (٤٧١٢) وصححه الألباني، سبق تخريجه.

٢- فريق قال: يختبرون يوم القيامة كالأصم والمجنون ومن مات في الفترة والهرم، ولهم على ذلك أدلة:

أ) لحديث: «يؤتى بأربعة يوم القيامة: بالمولود والمعتوه ومن مات في الفترة والشيخ الفاني ألهم كلهم يتكلم بحجته فيقول الله لعنق من النار أبرز ويقول لهم: إني كنت أبعث إلى عبادي رسولاً من أنفسهم وإني رسول نفسي إليكم، ادخلوا هذه فمن كتب عليه الشقاء قال: يا رب أنى ندخلها وقد كنا منها نفر ومن كتب عليه السعادة يمضي فيقتحم فيها مسرعًا»(١).

ب) لحديث: «يؤتىٰ يوم القيامة بالممسوخ عقلاً وبالهالك في الفترة وبالهالك صغيراً فيقول الله لهم: اذهبوا فادخلوا النار ولو دخلوها ما ضرتهم»(٢).

● استدل ابن كثير بهذين الحديثين وبالأحاديث الواردة في احتجاج الهرم والمجنون والأصم ومن مات في الفترة، فاستدل بها على ترجيح المذهب القائل بالاختبار يوم القيامة، وهذا احتجاج غير صحيح لأن الأحاديث الصحيحة الواردة بالاختبار يوم القيامة لم يذكر فيها الأطفال والأحاديث التي أوردها ابن كثير في تفسيره وابن القيم في كتاب (طريق الهجرتين) والتي فيها اختبار الأطفال يوم القيامة كلها لا تصح.

٣- المذهب القائل بالتوقف في أطفال المشركين واستدلوا بقول النبي ﷺ: «الله أعلم بما كانوا عاملين»(*١) واستدلوا أيضًا بحديث: «لا يزال أمر هذه الأمة مقاربًا ما لم يتكلموا في الولدان والقدر»(*٢) أي في حكم أطفال المشركين ومسائل القدر.

٤- المذهب القائل بأنهم في الجنة: قال النووي (وهو مذهب المحققين من العلماء» قلت ولهم علي ذلك أدلة:

أ) لحديث الملكين اللذين أتيا رسول الله ﷺ في منامه وذهبا به إلى الأرض المقدسة

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٨٤١) وليس فيه المولود وأبو يعلي في المسند (٤٢٢٤) وفيه المولود وقال الألباني عن الثاني صحيح بطرقه (٢٤٦٨ الصحيحة). وقال أيضاً وهذا اختيار أهل التحقيق - يقصد عدم تعذيب أبناء المشركين - كالنووي والعسقلاني وغيرهما) اهـ. ظلال الجنة.

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١٨٥) والأوسط (٧٩٥٥) وأبو نعيم (٥ / ١٢٧) و(٩ / ٣٠٥). وقال ابن الجوزي (٢ / ٩٢٣ - العلل المتناهية) هذا حديث لا يصح وفي اسناده عمر ابن واقد قال ابن مسهر ليس بشيء وقال الدارقطني متروك وقال ابن حبان يروي المناكير عن المشاهير ما ستحق الترك.

(*١)، (*٢) سبق تخريجه.

وكان فيما رأى شيخٌ كبيرٌ جالسٌ في أصل شجرة وحوله صبيان فقال الملكان «وأما الشيخ فهو إبراهيم عليه السلام وحوله أولاد الناس»(١) وكلمة الناس تشمل المشركين والمؤمنين.

ب) ولأنهم غير مكلفين ولا يعذب الله أحداً إلا بعد عمل وهؤلاء لم يبلغوا الحنث ولذلك قال ابن عباس «فمن مات قبل البلوغ مات على الميثاق الأول (أي على الفطرة)»(*١).

جـ) وأما قول النبي ﷺ: «الله أعلم بما كانوا عاملين»(*٢) فقد قاله قبل أن يوحى إليه أنهم من أهل الجنة» وأما أحاديث اختبارهم يوم القيامة فلا يصح منها شيء كما قدمنا، وأما قوله ﷺ: «الوائدة والموءودة في النار»(*٣) فأصح معانيه أن يقال «الموءودة» أي الموءودة له وهو من فعل ذلك من أجله كقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٤] أي مسئولاً عنه، وأما حديث: «هم من آبائهم»(*٤) فمعناه جواز تبييت الكفار وتعميمهم بالتقل ولو كان فيهم النساء والأطفال فالمنهي عنه تخصيص الأطفال بالقتل وعليه فقوله: «هم من آبائهم» أي في أحكام الدنيا لا في أحكام الآخرة(٢).

■ **حدثني إسحاق بن إبراهيم أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام عن أبي هريرة، قال: (قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة، هل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها». قالوا: يا رسول الله، فرأيت من يموت وهو صغير؟ قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»)(٣).**

[الشرح]:

● قوله: «تنتجون البهيمة» أي تولد البهيمة.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٢٠ – الجنائز) وأحمد (٢٠١٧٧ – مسند الكوفيين)، والطبراني (٦٩٩٠ – السير / سمرة بن جندب رضي الله عنه.

(٢) (**صحيح**): صححه الألباني – رحمه الله – في صحيح الجامع برقم (٣٤٦٢) وأخرجه البخاري بلفظ: «وأما الولدان الذين حوله فكل مولود يولدُ علي الفطرة» أورده البخاري برقم (٧٠٤٧).

(٣) (**متفق عليه**): أخرجه البخاري برقم (٦٢٢٦)، ومسلم برقم (٢٦٥٨) القدر بنحوه.

(*١) ذكره الطبري في تفسيره (٦/ ١١٠) وابن كثير (٢ / ٢٤٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٠٢).

(*٢) سبق تخريجه.

(*٣) سبق تخريجه، (*٤) سبق تخريجه.

● قوله: «جدعاء» أي مقطوعة الأذن.

● قوله: «الفطرة» أي ملة الإسلام والتوحيد فلو ترك المولود وفطرته لوحد الله ولم يشرك به شيئًا ولكن أبويه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه.

● ومعنى الحديث أن العرب كانت تقطع آذان الأنعام لبدع عندهم فقال لهم الرسول هذه الجدعاء تلد جمعاء (سليمة الآذان) مع أنكم قطعتم آذان الأم وذلك لأن الفطرة أن تكون سليمة جمعاء فكذلك اليهودي وكل مشرك فطرته منتكسة ولكنه إذا أنجب أولادًا فإنهم يولدون على الفطرة مسلمين حتى يكون أبواه يغيران دينه سواء إلى اليهودية أم إلى غيرها.

■ **وقال أيضًا - رحمه الله تعالى -: حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا يزيد الرِّشك قال: سمعت مطرف بن عبد الله بن الشخير يحدث عن عمران بن حصين قال: (قال رجل: يا رسول الله، أيعرف أهل الجنة من أهل النار؟ قال: «نعم»، قال فلم يعمل العاملون؟ قال: «كل يعمل لما خلق له، أو: لما يسر له»(١).**

[الشـرح]:

● ومعنى الحديث أن العباد لو أخذوا بأسباب طريق الجنة يسرها الله لهم وإذا أخذوا بأسباب طريق النار يسرها الله أيضًا لهم ولذلك كان العلم بهذا الحديث يوجب العمل والجد فيه لا الكسل.

■ **وقال رحمه الله أيضًا: حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا أبو غسان حدثني أبو حازم عن سهل بن سعد أن رجلاً من أعظم المسلمين غناء عن المسلمين في غزوة غزاها مع النبي فنظر إليه النبي ﷺ فقال: «من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا» فأتبعه رجل من القوم وهو على تلك الحال من أشد الناس على المشركين حتى جرح، فاستعجل الموت، فجعل ذبابة سيفه بين ثدييه حتى خرج من بين كتفيه، فأقبل الرجل إلى النبي ﷺ مسرعًا فقال: أشهد أنك رسول الله فقال: «وما ذاك؟» قال: قلت لفلان: من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إليه، وكان من أعظمنا غناء عن المسلمين، فعرفت أنه لا يموت على ذلك. فلما جرح استعجل الموت فقتل نفسه. فقال النبي ﷺ عن ذلك: «إن العبد ليعمل عمل أهل النار وإنه من أهل الجنة، ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار، وإنما الأعمال بالخواتيم»(٢).**

---

(١) (**متفق عليه**): أخرجه البخاري برقم (٦٢٢٣ القدر)، ومسلم برقم (٢٦٤٩ - القدر).

(٢) (**متفق عليه**): رواه البخاري برقم (٦٢٣٣)، ومسلم برقم (١١١) وغيرها.

[الشرح]:

- قوله في الحديث « وما ذاك » أي ما الذي جعلك تكرر الشهادة.
- قوله : « أشهد أنك رسول الله » أي أنه ازداد يقينًا وإيمانًا فالإيمان يزيد وينقص كما قال أهل السنة والجماعة.
- قوله: « فعرفت أنه لا يموت على ذلك » أي لا يموت على الإيمان.
- ملحوظة: سيأتي الكلام على معنى هذا الحديث عند ذكر بقية الأحاديث التي تتعلق بموضوع الخاتمة.

■ **وقال مسلم - رحمه الله تعالى- : حدثنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب حدثنا معتمر بن سليمان عن أبيه عن رقبة بن مسقلة عن أبي إسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أُبَيّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ : «إن الغلام الذي قتله الخضر طُبِعَ كافرًا، ولو عاش لأرهق أبويه طغيانًا وكفرًا»(١).**

[الشرح]:

- قوله « طبع كافرًا » أي لو عاش لكفر ولا يعني ذلك أنه الآن كافر.
- يستفاد من هذا الحديث عدة فوائد:

أ- تفويض الأمر لله فإذا مات ابنك فارض بقضاء الله، إذ ربما لو عاش لأرهقك طغيانًا وكفرًا أو ربما كفر هو وفسد حاله والله عليم رحيم.

ب- الدلالة على علم الله بما لم يكن لو كان كيف كان يكون.

جـ- فضل الله ورحمته إذ يحفظ إيمان عبده ويقيض له من الأسباب ما يحفظ به عليه دينه وكذلك فضله ورحمته في كونه لا يحاسب العباد حتى يعملوا فلو عاش الغلام لكفر أبواه ومع ذلك لم يحاسبهما على ذلك بل توفاهما على الإسلام.

د- الدلالة على أن المكروه والمحرم شرعًا قد يترتب عليه من الخير ما هو أحب إلى الله فقتل مثل هذا الغلام حرام في شريعتنا ولكن قد ترتب عليه خير للغلام وأبويه معًا.

■ **حدثني زهير بن حرب، حدثنا جرير عن العلاء بن المسيب، عن فضيل بن عمرو عن عائشة بنت طلحة، عن عائشة أم المؤمنين ﵂ قالت: (توفى صبي**

---

(١) (صحيح): رواه مسلم برقم (٢٦٦١ - القدر)، ورواه أبو داود (٤٧٠٥، ٤٧٠٦)، والترمذي (٣١٥٠)، وعبد الله بن أحمد (٢١١٥٦، ٢١١٥٨) و (٢١١٥٩) و (٢١١٦٠) وقال الألباني متفق عليه (٥٧١١) المشكاة.

فقلت: طوبي له عصفور من عصافير الجنة. فقال رسول الله ﷺ: «أو لا تدرين أن الله تعالى خلق الجنة، وخلق النار، فخلق لهذه أهلاً، ولهذه أهلاً»(١).

[الشرح]:

● قوله «خلق للنار أهلاً» أي وجعلهم يعملون بالمعصية كما في حديث آخر «وبعمل أهل النار يعملون» فلا يدخل النار أحد إلا بعمل وأما الجنة فينشئ الله لها أهلاً فيدخلونها بغير عمل.

● والمقصود من الحديث أن الرسول ﷺ أنكر على عائشة ﵂ جزمها وقطعها للصبي بأنه من أهل الجنة مع أنه لم يخبرها بذلك من قبل، فكأنها اجتهدت في أمر غيبي لا يجوز الاجتهاد فيه، ولذلك لامها رسول الله ﷺ مع كون كلامها صحيحًا بإجماع العلماء.

■ **حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا وكيع عن طلحة بن يحيى عن عمته عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين ﵂ قالت: (دُعي رسول الله ﷺ إلى جنازة صبي من الأنصار فقلت: يا رسول الله، طوبى له عصفور من عصافير الجنة: لم يعمل السوء، ولم يدركه. قال: «أو غير ذلك يا عائشة، إن الله خلق للجنة أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم)(٢).**

■ **وقال - رحمه الله تعالى -: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا عبد العزيز - يعنى ابن محمد - عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة ﵁ أن رسول ﷺ قال: «إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة، ثم يختم له عمله بعمل أهل النار، وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار، ثم يختم له عمله بعمل أهل الجنة»(٣).**

قلت: وهذا الحديث وما في معناه تفسيره عند أهل العلم والسنة على حديث

---

(١) (صحيح): رواه مسلم في صحيحه برقم (٦٩٣٨) في كتاب القدر.

(٢) (صحيح): رواه مسلمٌ برقم (٢٦٦٢)، والنسائي (١٩٤٧) وابن ماجه (٨٢) وعبد الله بن أحمد (٢٤١٧٨).

(٣) (صحيح): رواه مسلمٌ برقم (٢٦٥١ - القدر) وابن حبان (٦١٧٦) والطبراني في الأوسط (٢٧٨٠) بلفظه والبخاري (٣١٥٤ - الأنبياء) بنحوه في حديث «إن أحدكم يجمع في بطن أمه ...».

سهل بن سعد عند مسلم - رحمه الله تعالى - قال: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب - يعني ابن عبد الرحمن القاري - عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة»(١) الحديث يفسر الأول أن عمل المختوم له بالشقاوة إذا ظهر صلاحه إنما هو فيما يبدو للناس.

[تفسير العلماء لهذه الأحاديث]:

أ- أن هذا العامل للحسنات كان منافقًا ويشهد لهذا قوله في الحديث: **«فيما يبدو للناس»** وأما من كان يعمل السيئات فقد كان في قلبه خير هداه الله به إلى التوبة وعمل الصالحات.

ب- أن هذا العامل للحسنات كان مخلصًا في عمله ولكن كان في قلبه آفات أخرى قد تظهر آثارها كالعجب والفخر بالطاعة وقد لا تظهر فيما لا يعلمه إلا الله ويشهد لهذا التفسير قوله في الحديث: **«إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة»** والرياء ليس من أعمال أهل الجنة وهذا التفسير أصح أما قوله: **«فيما يبدو للناس»** أي أن الناس لا تعلم الخواتيم ولا تعلم ما كتبه الله عنده من كونه من أهل النار ومن كونه يختم له بالسوء عياذًا بالله من هذا. ودليل آخر من الحديث نفسه وهو قوله ﷺ: «وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس» ولا يكون الرياء في عمل أهل النار.

فائدة: [أسباب سوء الخاتمة]:

١- الإصرار على المعاصي ولو صغيرة فهذا من أكبر أسباب سوء الخاتمة وذلك أن يصر العبد على معصية معينة ويداوم عليها ولا يتوب منها ولذلك قال بعض السلف «المعاصي بريد الكفر» أي من داوم على المعاصي أوشك أن يقع في الكفر والعياذ بالله ولذلك اشتد خوف السلف من المعاصي صغيرها وكبيرها، فعلى العبد أن يكثر من التوبة والاستغفار لكي لا تسوء خاتمته.

---

(١) **(متفق عليه)**: رواه البخاري برقم (٢٧٤٢ - الجهاد) (المغازي ٢٩٦٦، ٢٩٧٠)، ومسلم برقم (١١٢) الإيمان وغيرها.

٢- عمل الخير وترك الشر خوفًا من كلام الناس، فربما ترك الحرام خوفًا من لوم الناس له وربما فعل الطاعات لمدح الناس، فأصحاب هذا الفعل من أشد الناس تعرضًا لسوء الخاتمة.

٣- أمراض قلبية في نفس العبد قد لا يعلمها إلا الله، نعم جرت رحمة الله الغالبة أنه لا يؤاخذ العباد بما في خفايا النفوس التي لا تظهر ولكنه آخذ طائفة قليلة بما في خفايا النفوس عدلاً منه سبحانه، ليكون العباد دائمًا على خوف عظيم ووجل كبير، وفي الحديث: «القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء».

■ **وقال - رحمه الله تعالى -: حدثنا إسحق بن إبراهيم الحنظلي حدثنا عثمان ابن عمر حدثنا عزرة بن ثابت عن يحيى بن عقيل عن يحيى بن يعمر عن أبي الأسود الدؤلي قال: قال لي عمران بن الحصين: أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه، أشيء قضى عليهم ومضى عليهم من قدر ما سبق؟ أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم؟ فقلت: بل شيء قضى عليهم ومضى عليهم. قال: فقال: أفلا يكون ظلماً؟ قال ففزعت من ذلك فزعًا شديداً، وقلت: كل شيء خلق الله وملك يده؛ فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون فقال لي: يرحمك الله تعالى، إني لم أرد بما سألتك إلا لأحزر عقلك؛ إن رجلين من مزينة أتيا رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله، أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه، أفي شيء قضى عليهم، ومضى فيهم من قدر قد سبق، أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم ﷺ وثبتت الحجة عليهم؟ فقال: «لا، بل شيء قضى عليهم ومضى فيهم، وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨﴾** [الشمس: ٧،٨](١).

[الشرح]:

● وهذا حديث عظيم جداً في باب الإيمان بالقضاء والقدر وفيه عدة فوائد:

أ- قوله «ما يعمل الناس» فيه إثبات عمل العباد وأن الحجة لا تقوم عليهم إلا بعمل وأنهم لا يعذبون حتى يعملوا.

---

(١) (صحيح): رواه مسلمٌ برقم (٢٦٥٠) والإمام أحمد في مسنده برقم (٤٨٤) والفريابي في القدر (١ / ١١٤).

ب- هذا السؤال الذي سأله عمران رضي الله عنه سؤال خاطئ وإنما سأله لأبي الأسود اختباراً له وتعليماً له، وخطأ هذا السؤال أنه جعل الأمر إما إثباتاً للقدر وإما نفيا للقدر وإثباتاً للشرع والأمر في الحقيقة إثبات القدر وللشرع معًا حيث لا تعارض بينهما كما سنوضحه إن شاء الله.

جـ- قوله «أفلا يكون ظلماً» أورد رضي الله عنه شبهة نفاة القدر حتى يمحوها من القلوب وشبهتهم أنهم يقولون لو ثبت القدر لانتفت مسؤولية الإنسان ولا نتفى الشرع ولم تقم حجة على العباد فكانوا بين نارين إما أن ينفوا القدر وإما أن ينفوا الشرع فرأوا أن نفي القدر أسهل من نفي الشرع وكلاهما باطل.

د- قوله «كل شيء خلق الله وملك يده» يعني أنه سبحانه أعلم بمواضع الهدى والضلال فوضع الهدى وأسبابه في قلوب المؤمنين ووضع الضلال وأسبابه في قلوب الضالين.

هـ- قوله «لا يسأل عما يفعل وهم يسألون» هذه كلمة عظيمة ينبغي أن تحفظ وتقال دائماً عند ورود شبهات نفاة القدر والناس في تفسيرها على قولين:

١) قول أهل البدعة من الجبرية وغيرهم قالوا أفعال الرب عدل لأنها تصرفات في ملكه حتى ولو وقعت على خلاف العقل وخلاف الرحمة فالعدل عندهم هو تصرف الرب في ملكه بغض النظر عن نفس تصرفه هذا.

٢) قول أهل السنة والجماعة: العدل هو وضع الشيء في موضعه فالرب حكمٌ عدل إذ وضع الهدى والضلال في مواضعهما، وكونه لا يسئل عن فعله لكمال رحمته فالله أرحم بعباده من الأم بولدها كما في الحديث فإذا كان الله هو أرحم الراحمين ولا يفعل شيئًا إلا لحكم عظيمة فلا ينبغي أن يسئل لم فعلت كذا ولم لا تفعل كذا؟ سبحانه وتعالى عما يشركون.

و- قوله «فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم» دليل لأهل السنة على أن الحجة لا تثبت حتى يأتي خبر النبي ﷺ وأمره لا بمجرد الفطرة خلافًا للمعتزلة وأهل البدع.

ز- قوله ﷺ: «لا - بل شيء قضى عليهم ومضى فيهم» رد للجملة الأولى لشمولها على باطل وهو قوله «فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم»، فهي تعني أنه لم يمض قدر سابق وإنما الأمر أُنف لا يعلمه الله حتى يقع فنفي الرسول ﷺ أن يكون الأمر أنفًا فالله علم وقدّر كل شيء من قبل. فإن قيل هذه الجملة تتضمن شيئًا صحيحًا وهو إثبات الحجة من الله على العباد ببعثة الرسول ﷺ فلم نفى الرسول ﷺ الجملة كلها؟ قلنا لما كانت تتضمن حقًا وباطلاً نفاها كلها ثم الحق الذي فيها من ثبوت الحجة من

الله على العباد ثابت من أحاديث وآيات أُخر ومعلوم لدى الجميع فهو لـمّا قال «لا» عُلم أنه قصد نفي الباطل فقط لا نفي الحق الذي معه.

ح- قراءته ﷺ لقوله تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) ﴾ [الشمس: ٧-٩]، في قوله تعالى: ﴿ أَلْهَمَهَا ﴾، ﴿ أَفْلَحَ ﴾ فيه قولان العلماء:

١- ألهمها أي بيّن لها الفجور والتقوى وقد أفلح من زكى نفسه وقد خاب من دسَّى نفسه، وعلى ذلك ففي الآية إثبات للشرع وبيان أنه قد أظهر لكل نفس الخير والشر ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة.

٢- ألهمها أي خلق فيها الفجور والتقوى وقد أفلح من زكى الله نفسه وقد خاب من دسى الله نفسه، وعليه ففي الآية إثبات للقدر. والتفسير الثاني أصلح لأن الحديث ورد في سياق إثبات القدر لا إثبات الشرع، ولذلك احتج الرسول ﷺ بهذه الآيات وكان ﷺ في مقام إثبات القدر، نعم لا تعارض بين التفسيرين ولكن الثاني أليق بسياق الحديث.

[تنبيه]:

● إثبات القدر هو بيان أن الله خلق الخير والشر في قلوب العباد ولا محيد عن قدر الله وأما إثبات الشرع هو بيان أن الله أوضح الخير والشر للعباد وكل يفعل الخير والشر بإرادته وقدرته وعلى أساسهما يحاسب الله العباد فالله لا يحب الكفر ولا يشرعه لعباده وإن كان قد أراده كونًا.

■ **وفيه عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: (كان رسول الله ﷺ ذات يوم جالسا وفي يده عوده ينكت به، فرفع رأسه فقال: «ما منكم من نفس إلا وقد عُلم منزلها من الجنة والنار» قالوا يا رسول الله، فلم نعمل، أفلا نتكل؟ قال: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» ثم قرأ ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) ﴾ إلى قوله: ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾** [الليل: ٥ - ١٠][1].

[الشرح]:

● وفي هذا الحديث عدة فوائد:

أ- قوله «إلا وقد علم منزلها» فيه إثبات علم الله السابق خلافًا لأوائل القدرية.

ب- قول الصحابة «فلم نعمل» دليل على أن الصحابة كانوا يسألون عن دقائق الاعتقادات ويسألون عن الشبه التي تقع في قلوبهم حتى يزيلوها.

---

(١) (متفق عليه): رواه البخاري برقم (٤٦٦١)، ومسلم برقم (٢٦٤٧ القدر).

جـ- قوله «اعملوا» رد على من قال مادام العمل قد كتب فلا فائدة في عملي، فبين النبي ﷺ أن العلم بهذه المسألة يوجب الجد والاجتهاد لا الكسل فالله هو الهادي ولا يعني ذلك ترك الأخذ بأسباب الهداية كما أنه هو الرزاق ولا يعني ذلك ترك الأخذ بأسباب الرزق فالعبد إذا عرف أنه لو سعى في أسباب الهداية يسرت له فإنه ولابد سيسعى فيها إن كان عاقلاً.

د- في هذا الحديث بيان أن العمل الصالح والطالح اللذين هما أثر من أفعال الله سبب لفعل الله بالعبد من تيسيره للخير أو للشر ففعل الله الأول وهو توفيقه للعبد أو خذلانه كان سبباً لفعل الله الثاني وهو تيسيره لليسرى أو للعسرى.

[فوائد]:

١- الهداية نوعان:

أ) ابتدائية: وهي أن يخلق الله في قلب عبده حب الهداية ثم يعينه على أسبابها.

ب) جزائية: وهي أن يزيد الله من استقام على الهداية هديً قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى**﴾ [محمد: ١٧].

٢- الإضلال أيضًا نوعان:

أ) ابتدائي: وهو أن يخلق الله في قلب العبد حب الضلالة وييسر له أسبابها والعياذ بالله.

ب) جزائي: وهو أن يضل الله من تمادى في الضلال وأعرض عن داعي الإيمان في قلبه فيزيده ضلالاً ويختم على قلبه قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ**﴾ [الصف: ٥] وقال تعالى: ﴿**وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾.

■ **والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة شهيرة يطول استقصاؤها، وقد تقدم منها جملة في إثبات علم الله عز وجل من توحيد المعرفة والإثبات.**

[الشرح]:

● من أنكر علم الله من أهل البدع على قسمين:

أ- أوائل القدرية الذين ظهروا في عهد ابن عمر وقالوا: الأمر أُنف أي لا يعلم الله بالشيء حتى يقع، وهؤلاء كفار إجماعًا نوعًا وعينًا وقد كفرهم ابن عمر وغيره من الصحابة ويُسمون بغلاة القدرية وقد انقرضوا الآن بحمد الله، فمن ينفي القدر جملة وينفي علم الله



عز وجل فهو كافر إذ صفة العلم ثابتة لله عز وجل ومن المعلوم من الدين بالضرورة ثبوتها لله وكذا الإيمان بالقدر إجمالاً فمن نفاهما كفر.

ب- الفلاسفة الذين قالوا بعلم الله للكليات دون الجزئيات فيزعمون أنه يعلم حسن العدل وقبح الظلم دون أن يعلم مسبقًا من سيعدل من عباده ومن سيظلم وهم أيضًا كفار ويرد عليهم وعلى أوائل القدرية معًا قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠] أي بالكليات والجزئيات وما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون.



■ **(فصل) المرتبة الثانية من مراتب الإيمان بالقدر: الإيمان بكتاب الله تعالى الذي لم يفرط فيه من شيء، قال الله عز وجل: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾** [الأنعام: ٣٨].

[الشرح]:

● الكتاب هنا هو اللوح المحفوظ ففيه كل شيء من أعمال المخلوقات كلها ورزقها كلها سواء الإنسان وغيره بل فيه كل ما تكلم الله به من قرآن وإنجيل وتوراة وغيرها وهذا هو التفسير الصحيح للآية خلافًا لمن قال (الكتاب) في الآية هو القرآن لأن هذا يستلزم محذوفًا تقديره (يحتاج إليه العباد) بعد قوله تعالى: ﴿مِن شَيْءٍ﴾ ثم السياق يدل علي كون الكتاب هو اللوح المحفوظ لقوله تعالى في أول الآية: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] فليس في القرآن ذكر للدواب وللطير إلا على سبيل الإجمال.

وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢]، وهو اللوح المحفوظ أيضًا فالإمام هو الكتاب الذي يؤم ويقصد لمعرفة ما فيه و(المبين) أي الذي بين فيه كل شيء وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (٥٢) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ (٥٣)﴾ [القمر: ٥٢-٥٣]، والزبر جمع زبور وهو الكتاب فأعمال العباد مكتوبة في كتب أخرى غير اللوح المحفوظ، وقال تعالى عن موسى حين قال له فرعون: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَىٰ (٥١) قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى (٥٢)﴾ [طه: ٥١، ٥٢]، هذا الكتاب الذي هو اللوح المحفوظ يتضمن بعض علم الله فليس علم الله كله في اللوح المحفوظ كما قد يظن البعض بل علم الله أكبر منه بكثير فالمكتوب في اللوح المحفوظ هو ما يتعلق بأفعال المخلوقات وعلم الله قد أحاط بما قبل اللوح المحفوظ وهو سبحانه أعلم بما لم يكن لو كان كيف يكون وهذا لم يكتب في اللوح المحفوظ، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧٠)﴾ [الحج: ٧٠]، وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾ إلي قوله: ﴿وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

[فائدة]:

● قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾ لا ينافيه إخبار بعض الرسل بأشياء غيبية فالغيبيات التي تخبر بها الرسل على قسمين:

أ- ما أخبروا به على وجه الجزم والقطع غير معلق بالمشيئة كأمور الآخرة وأشراط الساعة ولكنهم لا يخبرون بكل تفاصيله ولا بكيفيته فلا يخرج عن كونه غيبًا فنحن نؤمن قطعًا بخروج الدجال ونزول عيسى وخروج يأجوج ومأجوج وسائر أشراط الساعة وما في يوم القيامة ولكن هذا العلم لا ينافي أن الله اختص بعلم الغيب لأننا لا نعلم تفاصيل ذلك ولا وقت حدوثه ولذا نقول من جزم بأن عيسى - عليه السلام - ينزل في سنة كذا فهو كاذب ضال.

ب- ما أخبر الله به بعض الرسل على وجه التفصيل: فالملك الذي وكل بالجنين يكتب في بطن أمه عمله وأجله ورزقه وشقي هو أم سعيد بعد إعلام الله له بذلك وقد قال الرسول ﷺ عن قتلى بدر من المشركين «**هذا مصرع فلان غدًا إن شاء الله**»[1] فنقول هذا معلق بالمشيئة فإن شاء الله أمضاه وإن شاء غير ذلك وقع ما شاء فلا يخرج أيضًا عن كونه غيبًا استأثر الله به.

وقال تعالى: ﴿**وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٦١)**﴾ [يونس: ٦١]، وقال تعالى: ﴿**وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**﴾ [فاطر: ١١].

تنبيهات:

١- الأنثى هنا هي أنثى الإنسان وغيره من المخلوقات.

٢- استشكل البعض النقص والزيادة في العمر في هذه الآية وفي قوله -ﷺ-: «**صلة الأرحام وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار**»[2] وفي قوله: «**لا يزيد في العمر إلا البر**»[3] وفي قوله «**من أحب أن ينسأ له في أجله ويبارك له في رزقه فليصل رحمه**»[4] وقد أجاب العلماء عن هذا الاستشكال بجوابين:

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٧٣ الجنة وصفه نعيمها) وأبو داود (٢٦٨١) والنسائي (٢٠٧٤) وعبد الله في المسند (١٨٢، ١٣٣٢٠، ١٣٧٢٩) وابن حبان (٤٧٢٢) والطبراني (٨٤٥٣، ١٠٨٩).

(٢) أخرجه أحمد (٢٥٢٩٨) وقال الهيثمي في المجمع (إلا أن عبد الرحمن بن القاسم لم يسمع من عائشة) وصححه الألباني (٥١٩ - الصحيحة) و(٢٥٢٤ - صحيح الترغيب والترهيب).

(٣) (حسن): أخرجه الترمذي بلفظ «**لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر**»، قال الترمذي: (حسنٌ غريب)، قال الشيخ الألباني: (حسن). حديث رقم (٢١٣٩).

(٤) أخرج ه البخاري(٥٦٣٩ - الأدب) بلفظ (من سره أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في عمره فليصل رحمه) وكذا مسلم (٢٥٥٧ - البر والصلة) وأما لفظ المتن فقط أخرجه (ابن حبان (٤٣٨) وأبو يعلى (٣٦٠٩) وأبو شيبة (٧ / ٢٣٧).

أ) النقص والزيادة معنوية فالعمل الصالح يزيد البركة في العمر فيكون العمر كثير البركة ولو كان قليل المدة، والعمل الطالح ينقص البركة فيكون العمر قصيراً وإن طال وهذا النووي يموت في الأربعينيات من عمره وقد خلف من التراث ما لم يتركه ابن ثمانين.

ب) النقص والزيادة حقيقية ولكن في علم الملك أو بالنسبة إلى ما لم يكن لو كان كيف يكون لا في علم الله وهذا الجواب أصح ولا ينافي صحة الجواب الأول أيضًا فزيادة العمر ونقصه معنوية على ما ذكرنا وحقيقية بمعنى أن الله يقول للملك فلان عمره ستون مثلاً لو وصل رحمه وعمل الصالحات، وعمره خمسون مثلاً لو قطع رحمه وعمل السيئات والملك لا يعلم ماذا سيكون من العبد وأما الله فقد علمه أزلاً وكتب في اللوح المحفوظ عمر العبد وما سيعمله فتكون الزيادة والنقصان بأمور جعلها الله أسبابًا وقد بين الحق سبحانه الزيادة الحقيقية والمعنوية معًا في قوله تعالى: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ [نوح: ٢، ٣]، فالتأخير إلى الأجل المسمى تأخير نسبي أي بالنسبة إلى علم الملك وأما أجل الله الذي لا يؤخر فهو ما في اللوح المحفوظ.

إلى غير ذلك من الآيات التي يَقرن فيها بين إثبات العلم والكتاب، أو يَذكر كلاً على حدة. وكتابه تعالى من علمه.

وقال البخاري - رحمه الله تعالى- : حدثنا عبدان عن أبي حمزة عن الأعمش عن سعد ابن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي رضي الله عنه قال: كنا جلوسًا مع النبي ﷺ ومعه عود ينكت في الأرض وقال: «ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من النار أو من الجنة» فقال رجل من القوم: ألا نتكل يا رسول الله؟ قال: «لا، اعملوا فكل ميسر». ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾ الآية[1].

وراه مسلم بأبسط منه فقال رحمه الله تعالى: حدثنا عثمان بن أبي شيبة وزهير بن حرب وإسحق بن إبراهيم - واللفظ لزهير - قال إسحق: أخبرنا. وقال الآخران: حدثنا جرير عن منصور عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي رضي الله عنه قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد ، فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة، فنكس فجعل ينكت بمخصرته، ثم قال: «ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله تعالى مكانها من الجنة والنار، وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة، قال: فقال رجل: يا رسول الله، أفلا نمكث على

---

(١) (متفق عليه): رواه البخاري في التفسير برقم (٤٩٤٥)، ومسلم في القدر سبق تخريجه.

كتابنا وندع العمل؟ فقال: «من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة» فقال: «اعملوا فكل ميسر: أما أهل السعادة، فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة» ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝﴾ [الليل: ٥-١٠][1].

وقال رحمه الله تعالى حدثنا أحمد بن يونس حدثنا زهير حدثنا أبو الزبير (ح). وحدثنا يحيى بن يحيى أخبرنا أبو خيثمة عن أبي الزبير عن جابر قال: جاء سراقة بن مالك بن جعشم قال: يا رسول الله، بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن، فيما نعمل اليوم، أفيما جفت به الأقلام، وجرت به المقادير، أم فيما نستقبل؟ قال: «لا، بل فيما جفت به الأقلام، وجرت به المقادير». قال ففيم العمل؟ قال زهير ثم تكلم أبو الزبير بشيء لم أفهمه، فسألت ما قال؟ فقال: «اعملوا فكل ميسر» وفي رواية قال رسول الله ﷺ: «كل عامل ميسر لعمله»[2].

● قوله «اعملوا» دليل على كون الإيمان بالقدر يدفع إلى العمل بخلاف ما يظن أهل البدع والجهل. وقال البخاري رحمه الله تعالى: باب: ﴿**وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ**﴾ [الأنبياء: ٩٥]، وقال منصور بن النعمان عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: وحرم بالحبشة: وجب أي وجب على القرية التي قدر الله هلاكها أنهم لا يرجعون إلى الدنيا، وقوله تعالى: ﴿**أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ**﴾ [هود: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿**وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا**﴾ [نوح: ٢٧]، وفي هاتين الآيتين دليل على علم الله الشامل حيث علم أنه لن يؤمن من قوم نوح إلا من قد آمن بالفعل.

■ حدثني محمود بن غيلان حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ما رأيت شيئًا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي ﷺ: «إن الله تعالى كتب على ابن آدم حظه من الزنى أدرك ذلك لا محالة: فزنى العين النظر، وزنى اللسان المنطق، والنفس تمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه».

ورواه مسلم بهذا اللفظ وبلفظ قال ﷺ: «كتب على ابن آدم نصيبه من الزنى مدرك ذلك

---

(١) سبق تخريجه: وهو صحيح رواه مسلم.

(٢) (صحيح): رواه مسلم برقم (٢٦٤٨) والإمام أحمد برقم (١٤١٤٨)، وابن حبان في صحيحه برقم (٣٩١٩) والطبراني في الكبير (٦٥٦٥).

لا محالة: فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطا، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج ويكذبه»[1].

● قوله (اللمم) فيه قولان للسلف والراجح أنها الصغائر كاللمسة والنظرة وهو ظاهر تفسير ابن عباس وقيل هي الكبائر تفعل ثم يتاب منها ولا تفعل ثانية.

● قوله (كتب) أي قدره الله قدراً لابد من وقوعه بإرادة الله ومشيئته ثم بإرادة العبد ومشيئته أيضاً.

● قوله (لا محالة) أي لا يستطيع العبد أن يترك ذلك فالاستطاعة قسمان:

أ- قبل الفعل: وهي سلامة الحواس والعقل وعادمها لا يحاسب إذ لا قدرة له.

ب- مع الفعل: وهي التوفيق والإقدار على فعل الطاعة وترك المعصية وهذه منه يعطيها الله لمن يشاء ويمنعها من يشاء وعدم هذه الاستطاعة لا ينافي المسئولية وذلك لوجود الإرادة والمشيئة عند العبد لسلامة الحواس والعقل ولذلك قال تعالى عن الكفار «ما كانوا يستطيعون السمع» أي معهم حاسة السمع ولكن لا يستعملونها فيما خلقت له وهو سمع الفهم والطاعة فصاروا كمن لا سمع له ومع ذلك يحاسبون لوجود الحاسة.

● فقوله (لا محالة) أي لابد من وقوعه منهم بلا إكراه بل بإرادتهم هم يفعلون وهذا معنى اسم الله الجبار فهو الذي جبر العباد على مراده منهم فيفعلون بإرادتهم ما أراده الله منهم.

● قوله (يصدق ذلك الفرج) أي يعمل الفرج بمقتضى ذلك وهو من أوضح الأدلة لأهل السنة على دخول العمل في مسمى التصديق والإيمان.

فائـدة:

● الخذلان نوعان:

أ- جزائي: بسبب تمادى العبد في المعصية يخذله الله كما قال تعالى: «فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم».

ب- ابتدائي: لعلم الله بما في قلوب العباد ونفوسهم فيخلق في قلب الكافر الكفر ومحبته.

● وكذلك التوفيق ابتدائي فضلاً من الله على عباده المؤمنين، وجزائي بمعنى توفيق الله لعباده المؤمنين لمزيد من الإيمان والطاعة.

■ **وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: حدثنا يونس حدثنا الليث عن قيس بن الحجاج عن**

---

(٢) **(متفق عليه)**: رواه البخاري برقم (٦٦١٢)، ومسلم برقم (٢٦٥٧ - القدر) وبلفظ «إن الله كتب على ابن آدم ...» (٢٦٥٧).

حنش الصنعاني عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه ركب خلف رسول الله ﷺ يومًا، فقال له رسول الله ﷺ: «يا غلام، إني معلمك كلمات ينفعك الله بهن: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف»[١] [ورواه الترمذي بنحوه وقال: حسن صحيح]

● وهذا حديث عظيم جداً فيه فوائد جمة: أ) قوله «احفظ الله» أي حدود الله والتزم بأمر الله فالحفظ هنا يشمل العلم والعمل معاً. ب) «يحفظك» أي يحفظ عليك دينك ودنياك أما الدين فيثبتك على الإسلام ويتوفاك عليه ويعلمك من الشرع ما لا تعلم وفيه دليل على أنه من عاش على الطاعة مات عليها في الغالب. وكذلك يحفظ عليك دنياك فييسر لك أسباب الرزق الحلال ويبارك لك فيه بل يحفظ ذريتك من بعدك كما قال تعالى: «وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحًا» وكذلك يحفظ عليك أعضاءك فتكون سليمة مستعملة في الطاعة، وها هو رجل من السلف يقول لتلامذته وهو شيخ كبير يقول لهم (هذه أعضاء حفظناها في الصغر عن المعاصي فحفظها الله لنا في الكبر) بل ويحفظك من المؤذيات من عدو وحيوان وغيره فها هو إبراهيم ابن أدهم ينام تحت شجرة فإذا بثعبان يذب الذباب عنه حتى استيقظ.

ج) قوله «فاسأل الله» دليل على كون سؤال المخلوق من جن وإنس أمرًا من أمور الدنيا في الأصل ممنوع منه ومحرم أما لو سأل صالحًا أن يدعوا له جاز لقول النبي ﷺ عن أويس القرني: «مروه فليستغفر لكم»[٢] رواه مسلم.

د) قوله «فاستعن بالله» دليل على علو إرادة ومشيئة الله على إرادة العبد ومشيئته، فالعبد يستعين بربه فيما يريد هو ويقدر عليه فأنت تملك من الحواس والأعضاء ما تستطيع الصلاة به، ولكن لابد من إعانة الله على ذلك ولابد من إلهامه لك التقوى لكي تصلي فلا تكون لك طاعة إلا بالله. وفي هذا أيضًا دليل على حرمة الاستعانة بالجن سواء أكان مسلمًا أم كافرًا لأنها استعانة على الغيب، فها هنا مسألتان:

---

(١) (صحيح): أخرجه الترمذي (٢٥١٦) بلفظ إني أعلمك، وأحمد (٢٦٦٩) وأبو يعلى (٢٥٥٦) وصححه الألباني في الجامع الصغير (١٣٩١٧) وصحيح الجامع (٧٩٥٧).

(٢) (صحيح): إذ رواه مسلم في (فضائل الصحابة) برقم (٢٥٤٢) وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٨٠).

١- الاستعانة بالمخلوق.

٢- الاستعانة بالغائب كالاستعانة بالجن والأموات والأرواح الغائبة.

١- الاستعانة بالمخلوق:

وهي جائزة بشرطين: أ- أن يكون حيًا حاضرًا، فلا تكون بميت ولا بغائب لأنهما لا يسمعان، ومن طلب منهما العون على هذا الحال فقد اعتقد في غير الله السمع المحيط بكل شيء، وهذا شرك.

ب- فيما يقدر عليه المخلوق فلو استعان بمخلوق في أن يولد له وغيره مما لا يقدر عليه إلا الله لم يجز وكان أيضًا شركًا.

٢- الاستعانة بالجن أو أي غائب:

وهي محرمة لأن الجن غيب عنا يقول تعالى: ﴿**إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ**﴾ [الأعراف: ٢٧]، فسؤالهم إحضار الغائبات وجلب الحاجات من جنس شرك العرب القدامى، قال تعالى: ﴿**وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ**﴾ [الجن: ٦]، قيل في تفسيرها: إنهم كانوا يقضون لهم الحاجات كالعثور على غائب ويحفظون لهم المتاع، فإذا نزل الإنس بواد استعاذوا بالجن الموجود في هذا الوادي ليحفظوا عليهم أشياءهم، ولذلك قال تعالى: ﴿**يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ**﴾ والباء هنا باء الاستعانة بل هذا في الحقيقة عمل الكهان والعرافين فهم يستعينون بالجن فيما يقدرون عليه كالعثور على التائهات وغيرها من الأمتعة الضالة فإذا أجمعنا على حرمة هذه الأشياء، فكذلك فلنقل في الاستعانة بالجن.

فإن قال قائل أنا أستعين بالجن المسلم في عمل الخير؟ قلنا العثور على الضالة والتائهات من الخير ومع ذلك فالمستعين بالكاهن آثم فاعل كبيرة لقوله ﷺ: «**من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد** ﷺ»(١) ولا فارق في هذا بين المسلم والكافر من الجن، فالحرمة ليست لكونه كافرًا ولكن لكونه من الجن وهم غيب وقد كان الرسول ﷺ يستعين بهاد كافر في دلالته على طريق الهجرة فالاستعانة بالكافر ليست محرمة في ذاتها.

فإن قيل أباحها شيخ الإسلام الاستعانة بالجن في عمل الخير، قلنا لو ثبت عنه ذلك فإنه لا عبرة بكلام أحد مع السنة الصحيحة «إذا استعنت فاستعن بالله» بل قد قال شيخ

---

(١) (**صحيح**): صححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٩٣٩) أخرجه عبد الله في المسند (٩٥٣٢) والحاكم (١٥) والطبراني في الكبير، والبيهقي في الكبرى (١٦٢٧٣) وقال الذهبي في التلخيص (على شرطهما) وصححه الألباني في الجامع الصغير (١٠٨٨٣) وصحيح الجامع (٥٩٣٩).

الإسلام: « من أحوال أولياء الشياطين الاستعانة بالجن في نقلهم إلى عرفة » وهذا من أفضل أعمال الخير ومع ذلك عَدَّهُ – رحمه الله – من أحوال أولياء الشياطين.

فلا يجوز الاستعانة بالجن سواءً المسلم والكافر ولكن يجوز الانتفاع بما قالوه أو بما عملوه دون طلب منهم، فإن طلب منهم حرم، فهذا أبو هريرة يخبره الشيطان بكون آية الكرسي تحفظ النائم من الشياطين فما صدقه بل عرض كلامه على رسول الله ﷺ فقال: «صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ»(١) أي لا تأخذ كلامه مسلمًا به، بل اعرضه على الشرع.

ولذلك نقول لكثير ممن يتصدون لإخراج الجن نقول لهم: كثير من الحالات تكون وهمًا نفسيًا وربما تكلمت نفس الذي يرقي حيث يتكلم عقله الباطن لا الجن ولا غيره، بل لو تكلم الجني فهو كاذب فربما قال أنا مسلم أو أسلمت وهو كاذب في هذا فحذار من أخذ كلامه مسلمًا به والله المستعان.

هـ) في قوله « قد كتبه الله عليك » كتابة المقادير.

و) في الحديث كذلك الإيمان بالقدر مع ثمرات هذا الإيمان فليس هو مجرد كلام نظري بل لابد له من واقع عملي فعلم العبد بهذا الحديث يفيده التوكل على الله لا على العباد فإذا علم العبد أن ما كتبه الله لابد من وقوعه ولا دافع له وثق في الله واعتمد عليه ولم يخف إلا من الله والله المستعان.

ي) في الحديث أيضًا الاعتراف بالعجز البشري إذ لا طاقة ولا قوة إلا بالاستعانة بالله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ل) فيه كذلك تربية الصغار المميزين على معاني العقيدة الواجبة والتوحيد الواجب وتعليمهم من صغرهم العمل بالدين دون مبالاة بالبشر ودون خوف من أحد على عكس ما يفعل الآباء اليوم من منعهم لأولادهم من الالتزام بسبب زعمهم أنهم يخافون عليهم فالأب المؤمن هو الذي يربي أولاده على التوكل ومعاني الإيمان بالقدر فالطفل يولد على الفطرة ويتأثر بالبيئة التي يحيى فيها فلو نشأ في أسرة ووجد أمه تخاف مثلاً من بعض الحشرات لنشأ هكذا هو الآخر وكذلك لو وجد أبًا يخاف ويترك الدين والالتزام لنشأ مثله والعكس كذلك.

ن) في هذا الحديث العظيم دليل كذلك على كون كل ما يفعله الله بالعبد أو بغيره إنما

---

(١) (صحيح): رواه البخاري في صحيحه في باب الوكالة برقم (٢١٨٧ – الوكالة) و (٣١٠١ – بدء الخلق) و(٤٧٢٣ – فضائل القرآن)، ورواه في مواضع أخرى من والبيهقي في شعب الإيمان (٢٣٨٨).

هو بتقدير الله وله فيه حكم عظيمة وهذا مما يهون البلاء ولذلك نقول للمؤمن عند وقوع البلاء لك نظرتان:

أ) في كون الذي حدث مقدراً مكتوبًا لابد من وقوعه فليس العبد هو الذي قدر البلاء بل الله هو الذي قدر وقوعه.

ب) العلم بأن الله يحب الخير للعبد المؤمن أكثر من حب العبد الخير لنفسه ففي الحديث «**ولله أرحم بعباده من هذه المرأة بولدها**»(١) وقال تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ** ﴾ [النساء: ٢٧]، وقال: ﴿ **وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً** ﴾ [الأحزاب: ٤٣].

فهذا الذي فعله الله بك من بلاء إنما هو لمصلحتك أنت، ولو اطلعت أيها المبتلى على الغيب لحمدت الله ورضيت بما ابتلاك به لرؤيتك الخيرات فيه.

وقال ابن القيم «ومما يهون البلاء على العبد علمه بأنه إذا نزل البلاء فإن معه وقت زواله لا يتقدم ولا يتأخر عما قدره الله فإذا صبر العبد ارتحل البلاء في الوقت الذي قدره الله وهو محمود عند الله فإذا جزع العبد زال البلاء أيضًا في الوقت الذي قدره الله ولكنه يرتحل بذمه».

ج- قوله في الحديث «رفعت الأقلام» فيه الدليل على كون القلم الذي كتب به اللوح المحفوظ عدة أقلام وليس قلماً واحداً فحديث: «**أول ما خلق الله القلم**» القلم هنا اسم جنس لعدة أقلام.

د- قوله «رفعت الأقلام» أي لم تعد هناك كتابة في اللوح المحفوظ، ولا ينافي ذلك حديث الإسراء والمعراج وقول النبي «**ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف الأقلام**»(٢) فهذه أقلام كتابة الملائكة في كتب أخرى غير اللوح المحفوظ.

▪ وقال الإمام أحمد أيضًا: حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا ليث حدثني أبو قبيل المعافري عن شفي الأصبحي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: (خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان فقال: «**أتدرون ما هذان الكتابان؟**» قال: قلنا: إلا أن تخبرنا يا رسول الله، قال للذي في يده اليمنى: «**هذا كتاب من رب العالمين تبارك وتعالى بأسماء أهل الجنة، وأسماء آبائهم، وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم، ولا ينقص منهم أبداً**»، ثم قال للذي في يساره: «**هذا كتاب أهل النار بأسمائهم، وأسماء آبائهم، وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم لا يزاد فيهم، ولا ينقص منهم أبداً**» فقال أصحاب

---

(١) (صحيح): البخاري (٥٦٥٣ - الأدب) ومسلم (٢٧٥٤ - التوبة).

(٢) (متفق عليه): رواه البخاري في كتاب الصلاة برقم (٣٩٢، ٣١٩٤)، ومسلم في الإيمان برقم (١٦٣).

رسول الله ﷺ فلأي شيء إذا نعمل إن كان هذا أمر قد فرغ منه؟ قال رسول الله ﷺ «**سددوا وقاربوا؛ فإن صاحب الجنة يختم بعمل أهل الجنة، وإن عمل أي عمل، وإن صاحب النار ليختم بعمل أهل النار، وإن عمل أي عمل**» ثم قال بيده، فقبضها، ثم قال: «**فرغ ربكم عز وجل من العباد**». ثم قال باليمنى فنبذ به، فقال: «**فريق في الجنة**». ونبذ باليسرى، فقال: «**فريق في السعير**»(١).

ورواه الترمذي بنحوه وقال حديث حسن صحيح غريب. وغير ذلك من الأحاديث كثير.

● قوله «هذا كتاب»: أي كتاب يتعلق بالعباد المكلفين، أما اللوح المحفوظ ففيه أعمال العباد وأرزاق العباد بل وأعمال كل المخلوقات وأرزاقهم وكل ما هو كائن إلى يوم القيامة، وليس فقط أسماء أهل الجنة وأسماء أهل النار.

● قوله «سددوا وقاربوا» أي اعملوا ما تستطيعون فالسداد الإصابة.

● قوله في هذا الحديث «فلا يزاد فيهم ولا ينقص أبداً» دليل على خطأ قول البعض «اللهم إن كنت قد كتبتني في أم الكتاب شقياً فامحني واكتبني سعيداً» فهذا خطأ إذ ما كتب في أم الكتاب لا يتغير ولكن يجوز أن يقول «اللهم إن كنت قد كتبتني عندك شقياً فامحني واكتبني سعيداً» على ما ورد عن بعض الصحابة، إذ يقصد بهذا المحو من الكتب غير اللوح المحفوظ، فالكتاب كتابان: كتاب يمحو الله ما يشاء منه ويثبت، وكتاب عنده لا يتغير وهو أم الكتاب.

● في هذا الحديث عدة فوائد:

١- عدم الجزم لأحد بالنار فالله أعلم بالغيب وهو أعلم بالخواتيم وحديث الرجل الذي كان لا يلقى أخاه إلا على المعصية فقال له: «والله لا يغفر الله لك» معروف، وفيه أن الله غفر للمذنب وأحبط عمل الذي كان ينصحه.

٢- وفيه أيضاً عدم التكبر والتعالي على العصاة فالمؤمن يتعالى بإيمانه عن الكفر والفسوق والعصيان، قال تعالى: ﴿وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، وفي نفس الوقت يتواضع لله في معاملة الناس ويشفق على العصاة ويدعو لهم.

---

(١) رواه الترمذي برقم (٢١٤١)، وقال حديث حسن غريب صحيح؛ وعبد الله بن أحمد في المسند (٦٥٦٣) والفريابي في القدر (١/ ٥٧) وسنه الألباني (السلسلة - ٨٤٨) وظلال الجنة (٣٤٨)..

ملحوظة: صححه الألباني في الجامع الصغير وصحيح الجامع (٨٨) والمشكاة (٩٦) فينظر أي الكتب كان الأخير فيستشهد به.

٣- وفيه أيضاً دوام الخوف من الله وعدم الأمن من مكر الله، إذ لا يعلم الغيب والخواتيم إلا الله.

٤- وفيه إيمان الصحابة العظيم بالغيب إذ أخبروا بشيء يصعب عليهم تصوره في عهدهم، إذ يصعب عليهم أن يتصوروا كتابة هذا الكم الهائل من الأسماء في هذا الكتاب الصغير، أما نحن فتصور هذا عندنا سهل جداً إذ رأينا قرصاً مضغوطًا من الحاسب الآلي (C.D) يكتب فيه آلاف الملفات التي تحتوي على ملايين الأسماء، فإذا كان العباد قد قَدَرُوا على مثل هذا فالرب أقدر وأقدر ولكن الصحابة ما ناقشوا ولا سألوا كيف ذلك.

٥- فيه كذلك عظيم علم الصحابة، إذ ما سألوا أين ذهب الكتاب ولا بحثوا عنه لأن ذلك مما لا يفيد وهذان الكتابان حقيقيان، ولكن لا ندري بأية لغة كتب فيهما ذلك ولا كيف ذلك ولا ندري أين ذهبا.

٦- في هذا الحديث كذلك بيان لما ينبغي أن يكون عليه المؤمن وهو الجمع بين الخوف والرجاء فلا يقنطن عاص من رحمة الله ولا يأمنن طائع من مكر الله وفي هذا رد على من قال أعبد الله بالخوف وحده أو أعبده بالرجاء وحده.

تنبيهات:

١- كتابة الله للمقادير لا يعني معافاة العبد من المسؤولية، فالله كتب المقادير وأمر العباد بالسعي ورتب المقادير على الأسباب التي بإمكان العباد السعي فيها، كما أن الله كتب الأرزاق وقدرها وأمر العباد بالسعي في أسباب الحصول عليها.

٢- اعتاد البعض أن يذكر مثال المدرس ليستدل به على عدم ظلم العباد بكتابة أفعالهم وفي هذا المثال يقولون: مثل كتابة الله لمقادير العباد كمثل المدرس الذي أجرى امتحاناً للتلاميذ وقبل تقييمه رصد لهم درجاتهم لعلمه بمستوياتهم، فلما قيّم درجات الامتحان وجد الدرجات كما توقع وهذا مثال خاطئ جداً حتى ولو قالوا بأن علم المدرس ظني وعلم الله قطعي لابد من وقوعه فإن المثال فيه خطأ من وجهين:

أ- المدرس يريد لجميع الطلبة التفوق والنجاح ولكن الله يريد لبعض العباد الكفر والضلال، يريده إرادة كونية لا إرادة شرعية.

ب- المدرس لم يتدخل في كتابة الطلبة الامتحان ولا قدر له، ولكن الله قادر على أعمال العباد.

٣- هناك فارق بين الإرادة والمحبة، فالله أراد لبعض عباده الكفر والمعصية لمصالح، ولكنه لا يرضى بالمعاصي ولا يحبها، فالإرادة الكونية لابد من وقوعها وقد لا يحبها الله كإرادة

المعصية للعاصي، والإرادة الشرعية قد تقع وقد لا تقع ويحبها الله كإرادة الله شرعًا الإيمان من جميع الخلق ولكن بعضهم أطاع وبعضهم عصى وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله.

٤- ليس معنى كتابة كل شيء وتحتم وقوعه أن الله ظلم العباد فالله لا يظلم أحدًا ﴿**وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾ [فصلت: ٤٦]، وذلك لأن العبد له إرادة ومشيئة بهما تقع أفعاله وعليهما يحاسب وقد ضلت الجبرية في هذه المسألة فقالوا جبر الله العباد على فعل ما يريد دون إرادة منهم ويرد عليهم كتاب الله عز وجل الذي أثبت أفعال العباد في نحو قوله تعالى: ﴿**لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ**﴾ [التكوير: ٢٨] وكذلك يرد عليهم إحساس كل إنسان عاقل بإرادته ومشيئته قبل الفعل.

وضلت القدرية أيضًا فقالت هذا الذي كتبه الله إنما كتبه لعلمه بأن العبد سيفعله فلولا أن الله يعلم أن العبد سيعمل هذا ما كتبه، وهذا مشابه لمعنى مثال المدرس الذي ذكرناه من قبل فمعنى كلامهم أن الله ما كتب شيئًا إلا لإرادة العباد فعكسوا الآية فالله يقول: ﴿**وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ**﴾ [الإنسان: ٣٠]، وهم يقولون «وما يشاء الله إلا أن تشاءوا» فالواجب الإيمان بإرادة الله المؤثرة والسابقة لإرادة العبد والإيمان كذلك بأن العبد يفعل بإرادته هو ومشيئته.

٥- كثير من العصاة إذا قلت له (تعالَ صَلِّ) قال لك (عندما يهديني الله) أو (إذا أراد الله) وهذا هو اعتقاد الجبرية، يزعمون أن العبد لا مسؤولية عليه، إنما الرب هو الذي يجبره على الطاعة أو المعصية، وهذا الاعتقاد شر من معصيته فنقول له: نعم الله هو الهادي، ولكن على العبد الأخذ بالأسباب كما أن الله هو الرزاق وعلى العبد الأخذ بالأسباب.

٦- أطلق كثير من العلماء على الفرقة التي تزعم أن الكتابة هي مجرد إخبار وذكر لما سيفعله العبد وأن الله لا إرادة له في معصية العبد أطلقوا عليهم: مجوس هذه الأمة بل ورد بذلك أحاديث كحديث «القدرية مجوس هذه الأمة» وذلك لأن المجوس يؤمنون بخالق للخير وخالق للشر كذلك هؤلاء القوم يقولون أراد الله الخير وهو خالقه أما الشر فقد أراده العباد ولم يرده الله فجعلوا العباد خالقين للشر.

(فصل) الإيمان بكتابة المقادير يدخل فيه خمسة تقديرات:

(الأول) التقدير الأزلي قبل خلق السموات والأرض عندما خلق الله تعالى القلم، كما قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿**قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا**﴾ [التوبة: ٥١] ولم يقل «علينا»

فكل ما قدر الله على المؤمن خير له حتى المعاصي لأن مآلها إلى التوبة والإنابة ورفعة الدرجات، وقال سبحانه تبارك وتعالى: ﴿ **مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ** ﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣].

وهذه آية عظيمة جدًا بين الحق فيها فوائد الإيمان بكتابة الله للمقادير وهي:

١- العلم بسعة علم الله حيث علم كل شيء ودقائق كل شيء فإذا علم العبد ذلك استحقر علم نفسه ولم يتكبر بما تعلمه فإنما علمه نقطة في بحر علم الله.

٢- الصبر إذ يعلم العبد أن كل شيء قد كتب ولابد من وقوعه، فيصبر ويحتسب إذ لا يغير ما كتبه الله.

٣- إذا علم العبد أن الله قد كتب ذلك لم يأس ولم يحزن الحزن المذموم، فالحزن نوعان:

أ- فطري: لما يحدث للعبد من ألم ومصائب فهذا لا لوم فيه فهو علامة من علامات رقة القلب ووجود الرحمة في قلب العبد وعدم قسوته وقد قال النبي ﷺ عند موت ابنه إبراهيم «إن القلب ليحزن».

ب- مذموم: وهو الذي يتضمن عدم الرضا بقضاء الله والاعتراض على القضاء.

٤- علم العبد بكتابة كل شيء يمنع الفرح بالدنيا الفرح المذموم، فالفرح هنا العجب وهو مرض إبليس إذ ما هلك إلا بفرحه بنفسه وعجبه فلو علم العبد أن كل شيء هبة الله ومنته لم يفرح إلا بفضل الله كما قال تعالى: ﴿ **قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا** ﴾ [يونس: ٥٨].

٥- شهود العبد لكتابة كل شيء يمنع أيضًا من الفخر والاختيال ولذلك قال تعالى في هذه الآيات ﴿ **وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣) الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ** ﴾ [الحديد: ٢٣-٢٤]، فالفخر ينشأ عن رؤية النفس بعين الكمال وينشأ عن الرضا عنها وعن عدم العلم بقدر الله وأنه ما من خير في العباد إلا من الله كما قال تعالى: ﴿ **وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ** ﴾ [النحل: ٥٣].

٦- كذلك شهود هذه المنزلة (منزلة كتابة الله للأقدار) يقي العبد من مرض البخل إذ البخيل يشهد أنه يملك ويستحق أما من آمن بالقدر فإنه يعلم أن كل شيء ملك لله وبيده والعبد لا يملك شيئًا فإذا شهد العبد هذا جاد بالمال إذ المال مال الله والعبد خازن على المال فكيف يبخل بما لا يملك؟ أرأيتم لو كان أحدكم خازنًا على مال غنى وأمره الغنى بالإنفاق فهل يخالفه؟ كذلك لا ينبغي للعبد أن يخالف أمر الغنى سبحانه بالإنفاق.

تنبيهات:

قوله تعالى: ﴿ نبرأها ﴾ أي الخليقة فكل مصيبة مكتوبة قبل خلق الله للأرض كلها وقبل خلقه للنفوس وقبل خلقه للمصيبة. وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي حدثنا الأعمش حدثنا جامع بن شداد عن صفوان بن محرز أنه حدث عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: دخلت على النبي ﷺ وعقلت ناقتي بالباب، فأتاه ناس من بني تميم، فقال: «**اقبلوا البشرى يا بني تميم**» قالوا: قد بشرتنا فأعطنا (مرتين) ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال: «**اقبلوا البشرى يا أهل اليمن، إذ لم يقبلها بنو تميم**»، قالوا: قبلنا يا رسول الله، قالوا جئناك نسألك عن أول هذا الأمر. قال: «**كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السموات والأرض**». فنادى مناد: ذهبت ناقتك يا ابن الحصين، فانطلقت فإذا هي يقطع دونها السراب، فوالله لوددت أني كنت تركتها(١).

- قوله «ولم يكن شيء غيره» دليل على أن كل مخلوق مسبوق بالعدم.
- قوله «وكان عرشه على الماء» لا يقتضي كون العرش خُلق أولاً بل القلم أول مخلوق كما صح في الحديث فالواو لا تدل على الترتيب وإنما تدل على مطلق العطف والخلاف بين أهل السنة في أول مخلوق خلاف سائغ، فالبعض قال هو القلم، وهذا هو الراجح، والبعض قال: هو العرش أما القول بأنه توجد مخلوقات لا أول لها كما قاله البعض وفهمه من كلام شيخ الإسلام فهو كلام باطل لا دليل عليه بل قول النبي ﷺ في هذا الحديث: «**ولم يكن شيء غيره**» يدل على أنه كان الله وكانت كل المخلوقات لا وجود لها ثم أنشأها الله فكل المخلوقات مسبوقة بالعدم، وتضعيف شيخ الإسلام للفظة «غيره» لا يصح لأنها صحيحة وثابتة.
- وقوله «اقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم» يعني أن بني تميم ظنوا أن البشرى مال أو شيء من أمور الدنيا فكأنهم رفضوا البشرى إذ هي في الحقيقة بشارة بأمور الآخرة.

■ **وقال مسلم رحمه الله تعالى: حدثني أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن عبد الله بن عمرو ابن سرح حدثنا ابن وهب أخبرني أبو هانئ الخولاني عن أبي عبد الرحمن الحنبلي عن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن**

---

(١) (صحيح): رواه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق برقم (٣٠١٩) و (٦٩٨٢ - التوحيد) بلفظ «ولم يكن شيء قبله» وكذلك ابن حبان (٦١٤٢) وأبو نعيم (٨/ ٢٥٩) «لم يكن شيء غير» وقال الحافظ في الفتح (اختلاف اللفظ اقتضى أن الرواية وقعت بالمعنى ولعل الراوي أخذها من دعاء النبي ﷺ: «انت الأول فليس قبلك شيء ...» ولكن رواية (غيره) «هو في العدم» أ.هـ (٦/ ٢٨٩) باختصار.

يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة» قال: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧](١).

ولهما عن أبي هريرة حديث احتجاج آدم وموسى، وهذا اللفظ لمسلم قال: قال رسول الله ﷺ: «**احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما، فحج آدم موسى، قال موسى: أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته وأسكنك في جنته، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض. فقال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه، وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء، وقربك نجيًا. فبكم وجدت الله تعالى كتب التوراة قبل أن أخلق؟ قال موسى بأربعين عامًا. قال آدم: فهل وجدت فيها: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١]؟ قال: نعم. قال أفتلومني على أن عملت عملاً كتب الله عليَّ أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين عاماً**». قال رسول الله ﷺ: «**فحج آدم موسى**» وله عندها وغيرها ألفاظ من طرق كثيرة(٢).

● وهذا حديث عظيم، رده بعض الملاحدة بكون آدم وموسى قد ماتا فمتى تقابلا والجواب عن هذا أنها مقابلة في عالم البرزخ الذي له طبيعة أخرى غير طبيعة الحياة العادية فهما في الجنة يتنعمان ولا مانع من تلاقي أرواحهما، وفي بعض الروايات «**احتج آدم وموسى عند ربهما**» فهو احتجاج أرواح عند الله عز وجل في السماء.

● قول موسى «أسكنك الله جنته» دليل على كون الجنة التي كان فيها آدم هي جنة الخلد كما يدل عليه الإطلاق والإضافة في قوله (جنته) إذ الإضافة إضافة تشريف.

● قول «موسى أهبطت الناس بخطيئتك» دليل على كون موسى يلوم آدم على الذنب خلافًا لمن قال يلومه على مصيبة الخروج من الجنة وهو قول شيخ الإسلام.

● قول آدم «فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى» دليل على أنها مكتوبة هكذا في التوراة كما هي في القرآن.

● قوله ﷺ: «قال موسى بأربعين عامًا» فيه دليل على أن أفعال الرب لها أوقات معينة فالله كتب أن آدم سيخطئ كتب ذلك قبل أن يخلقه بأربعين سنة مع أن علم الله سابقٌ أزلاً.

فوائد الحديث:

١- في الحديث أدب آدم، إذ أخطأ الابن ولام أباه على شيء لا ينبغي اللوم عليه، ومع ذلك لم يعنفه بل مدحه ثم عاتبه.

---

(١) (**صحيح**): سبق تخريجه.

(٢) (**متفق عليه**): سبق تخريجه.

٢- في الحديث أيضًا دليل علي أن العبد لو أذنب وتاب واحتج بالقدر صح منه ذلك، إذ الذنب بعد التوبة منه بمنزلة المصيبة، لأنه لابد من وقوعها لأن الله كتبها فإذا تاب العبد منها وأناب فقد فعل ما يقدر عليه ويصح منه حينذاك أن يحتج بالقدر، وموسى- عليه السلام - رسول وعالم بالله، ولكن غلب عليه شهود الخطأ عن شهود القدر فلام آدم، والخطأ والنسيان لا ينافي العلم بالله فموسى عالم بالله وإن كان قد أخطأ في لوم آدم، والصحيح أن موسى لام آدم على المصيبة وما ترتب عليها من الخروج من الجنة وليس مجرد الخروج من الجنة فقط.

تنبيه:

● ليس في هذا الحديث حجة للجبرية في ترك لوم العباد على المعاصي أو الاحتجاج بالقدر عليها لأن هذا الاحتجاج من آدم - عليه السلام - كان بعد التوبة فالعبد إذا تاب وقبلت توبته جاز له الاحتجاج بالقدر لكيلا ييأس بل يواصل طاعته لربه فإنه إذا تاب فقد فعل ما يقدر عليه، فأما مع الإصرار على المعصية وهو يقدر على تركها وعلى التوبة منها فهو مقصر، بل احتجاجه بالقدر على معصيته أشد من المعصية ذاتها، لأنه بذلك يكون قد شابه إبليس اللعين حين قال ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر: ٣٩] وقال كلمة حق وهي إثبات القدر وأراد بها باطلاً وهو إلغاء مسؤولية الإنسان عن فعله وإلغاء إرادته ومشيئته، وأراد عدم لزوم شرع الله له وكل هذا باطل أعظم من المعصية فإثبات القدر لا يعني إلغاء مشيئة العبد وقدرته فإن الله قدر أن تكون له إرادة وقدرة بهما تقع أفعاله وأرسل رسله بشرعه وألزم الناس به فمن خالف كل ذلك فقد ضل.

■ **وقال أبو داود - رحمه الله تعالى -: حدثنا جعفر بن مسافر الهذلي حدثنا يحيي بن حسان حدثنا الوليد بن رباح عن إبراهيم بن أبي عبلة عن أبي حفصة قال: قال عبادة بن الصامت لابنه: يا بني، إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك. سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، قال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة». يا بني، إني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «من مات على غير هذا فليس مني»**(١).

● في هذا الحديث دليل صريح على أن القلم أول مخلوق وذلك لربط الجملة الثانية

(١) (صحيح): رواه أبو داود (٤٧٠٠) والبيهقي في الكبرى (٢٠٦٦٤) وأبو نعيم في الحلية (٥ / ٢٤٨) والطبراني في مسند الشاميين (٥٩) وصححه الألباني (٣٧٨١) الجامع الصغير.

بالأولى بحرف الفاء فالجملة الأولى جملة اسمية حيث أن حرف [إن] يدخل على الجملة الاسمية لا على الجملة الفعلية فلو كان معنى الكلام (عند خلق الله القلم قال له اكتب) لما دخل عليها حرف [إن] فالمعنى الصحيح من الحديث هو أن القلم أول مخلوق ثم الجملة الثانية «فقال له اكتب» جملة أخرى بعكس ما لو قال «أول ما خلق الله القلم قال له اكتب» ربما فهم منها أنه بمجرد خلق الله للقلم قال له: اكتب، بغض النظر هل القلم أول مخلوق أم وجد قبله شيء.

■ **وقال الترمذي - رحمه الله تعالى -: حدثنا يحيي بن موسى أخبرنا أبو داود الطيالسي أخبرنا عبد الواحد بن سليم قال: قدمت مكة فلقيت عطاء بن أبي رباح فقلت له: يا أبا محمد، إن أهل البصرة يقولون في القدر. قال: يا بني أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم: قال: فاقرأ الزخرف. قال فقرأت: ﴿حمٓ ۝١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾** [الزخرف: ١-٤] **قال: أتدري ما أم الكتاب؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه كتاب كتبه الله قبل أن يخلق السماء، وقبل أن يخلق الأرض فيه: إن فرعون من أهل النار، وفيه: تبت يدا أبي لهب وتب. قال عطاء: فلقيت الوليد بن عبادة بن الصامت صاحب رسول الله - ﷺ - «فسألته: ما كانت وصية أبيك عند الموت؟ قال: دعاني فقال: يا بني، اتق الله، واعلم أنك لن تتقي الله تعالى حتى تؤمن بالله وتؤمن بالقدر كله، خيره، وشره، فإن مت على غير هذا دخلت النار. إني سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «إن أول ما خلق الله تعالى القلم فقال: اكتب، قال: ما اكتب؟ قال: اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد» هذا حديث غريب**(١).

● في هذا الحديث دليل على أهمية الإيمان بالقدر وأنه ركن أساس في العقيدة إذ هو وصية الصحابة عند الموت، والمرء عند موته لا يوصي إلا بأهم شيء في نظره.

● قوله «لن تتقي الله حتى تؤمن بالقدر» دليل على كون من لم يؤمن قلبه بالقدر لم يكن متقيًا وكذلك كل أصل من أصول الإيمان لا يكون العبد متقيًا ولا مؤمنًا حتى يؤمن به فلا يقال عن اليهودي أو النصراني متّقٍ، لأنهم يكفرون بكل أصول الإيمان.

● قوله «بالقدر خيره وشره» أي الشر المقدور أو ما قدر الله وجوده من مخلوقات فيها شر وكفر ومعصية.

---

(١) (صحيح): صححه الألباني في تخريج جامع الترمذي برقم (٢١٥٥).



● قوله «الله ورسوله أعلم» فيه دليل على رد الأمور الشرعية إلى علم الله ورسوله، وأما أمور الدنيا فنقول: الله أعلم، خلافًا لما يفعله بعض العوام إذ يقولون: الله ورسوله أعلم حتى في أمور الدنيا.

● من أنكر علم الله السابق لكل شيء كفر نوعًا وعينًا، ومن أثبت العلم وأنكر إرادة الله للشر فقد كفر نوعًا، ولكن لا يكفر المعين (أي الشخص بعينه لا يكفر) حتى تقام عليه الحجة.

● كذلك من غالى وقال جبر الله العباد على المعصية فلا لوم عليهم ولا ذنب لهم، فاستباح بذلك المحرمات وترك الواجبات فهو كافر نوعًا وعينًا، إذ يناقض قوله الشرع ويهدم أساس الدين من كون العاصي يلام ويستحق العقوبة.

■ **وقال البخاري - رحمه الله تعالى -: قال أصبغ: أخبرني ابن وهب عن يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن أبي سلمة عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قلت: يا رسول الله، إني رجل شاب، وأخاف على نفسي العنت، ولا أجد ما أتزوج به النساء، فسكت عني. ثم قلت مثل ذلك؛ فسكت عني، ثم قلت مثل ذلك، فسكت عني، ثم قلت ذلك فقال النبي -ﷺ-: «يا أبا هريرة جف القلم بما أنت لاق؛ فاختصِ على ذلك أو ذر» وغير ذلك من الأحاديث(١).**

● الاختصاء هو رض الرجل للخصيتين لمنع النسل وقد أراد أبو هريرة ذلك لقطع الشهوة عن نفسه فنهاه الرسول عن ذلك.

● قوله «جف القلم» أي كتب كل شيء منذ قديم الزمن ولو أراد الله أن يوجد منك نسلاً لأوجده سواء اختصيت أم لا.



(١) رواه البخاري تعليقًا في صحيحه برقم (٤٧٨٨) ووصله النسائيُّ في سننه برقم (٣٢١٥) وقال: الأوزاعيُّ لم يسمع هذا الحديث من الزهريّ وهذا حديث صحيح قد رواه يونس عن الزهري. والطبراني في الأوسط (٦٨١٤) والبيهقي في السنن الكبرى (١٣٢٤٢).

(فصل) التقدير (الثاني) من تقدير الكتابة: كتابة الميثاق يوم ألست بربكم

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (١٧٣) وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١٧٤) ﴾ [الأعراف: ١٧٢ - ١٧٤].

[الشرح]:

• قوله تعالى: ﴿ ظُهُورِهِمْ ﴾ أي من ظهر آدم ثم من ظهور ذريته، ولذلك قال من «ظهورهم» ولم يقل من ظهر آدم.

• قوله تعالى ﴿ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ دليل على كون هذا شهادة مقال فقد قالوا ذلك حقيقة خلافًا لمن قال: هي شهادة حال أي خرجوا من آبائهم على الفطرة يشهدون بوحدانية الله كما يقوله شيخ الإسلام وابن كثير وابن أبي العز الحنفي - رحمهم الله - فالصواب أن هذه شهادة مقال وحال معًا فإن قيل فلم لا يذكره العباد؟ قلنا كم حدث للإنسان وهو ابن شهور ما لا يذكره مع أنه حدث قطعًا وإذا أخبره المخبر الصادق بما حدث له قبل خبره، أفليس خبر الكتاب والسنة أولى بالقبول؟ بل الإنسان كذلك لا يذكر ما حدث له وهو جنين مع أنه قد وقعت له ومنه أفعال إذ ذاكرته في هذا الوقت لم تهيأ للحفظ، فما كان في هذا الغيب البعيد وهو في عالم الذر أولى بالنسيان.

• قوله تعالى: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ هو عهد على الربوبية المستلزمة للإلهية فمن معاني الرب المعبود.

• قوله تعالى: ﴿ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا ﴾ دليل على أنه لا ينفع الاحتجاج بكفر الآباء، فكل واحد شهد شهادة مستقلة بربوبية وإلهية الحق - سبحانه وتعالي - حيث لم يكن لا أب ولا ابن.

وقال تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٠٢] وهذا العهد هو العهد على الشرع والالتزام به وعلي هذا أخذ الله الميثاق على العباد ولكن كثيراً منهم لم يف بما عاهد الله عليه وفسق والعياذ بالله.

▪ **وقال الإمام أحمد - رحمه الله تعالى -: حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا إبراهيم بن محمد أبو اسحق الفزاري حدثنا الأوزاعي حدثني ربيعة بن يزيد عن عبد الله بن الديلمي عن**



عبد الله بن عمرو – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله – ﷺ – يقول: «إن الله عز وجل خلق خلقه في ظلمة، ثم ألقى عليهم من نوره يومئذ، فمن أصابه من نوره يومئذ اهتدى، ومن أخطأه ضل» فلذلك أقول: جف القلم على علم الله – عز وجل –(١) حسنه الترمذي.

[الشرح]:

● قوله «خلق خلقه في ظلمه» أي الأرواح فهي مخلوقة قبل الأجساد.

● قوله «ألقى عليهم من نوره» أي على حسب علم الله وحكمته فهو أعلم بمواضع الهداية والضلال لا أنه أرسل النور عبثًا – سبحانه وتعالى –.

■ **وقال أحمد – رحمه الله عز وجل –: حدثنا هشيم وسمعته أنا منه قال: حدثنا أبو الربيع عن يونس عن أبي إدريس عن أبي الدرداء – رضي الله عنه – عن النبي – ﷺ – قال: «خلق الله آدم حين خلقه، فضرب كتفه اليمنى فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الذرّ، وضرب كتفه اليسرى فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحمم، فقال للذي في يمينه: إلى الجنة ولا أبالي، وقال: للذي في كفه اليسرى: إلى النار ولا أبالي»(٢).**

[الشرح]:

● قوله **«للذي في كفه اليسرى» بيان أن الله له يد يسرى أو شمال لكنها كاليمين في** القوة والبركة، إذ الشمال في البشر أضعف من اليمين ويباشرون بها ما تنزه عنه اليمين أو يكون المعنى أن الله يده الشمال لها أسماء اليمين والشمال وذلك لحديث **«وكلتا يدي ربي يمين»**(٣) والله أعلم بكيفية ذلك ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

■ **وقال – رحمه الله تعالى –: حدثنا الحسن بن سوار حدثنا الليث – يعني ابن سعد – عن معاوية بن راشد بن سعد عن عبد الرحمن بن قتادة السلمي – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله – ﷺ – يقول: «إن الله عز وجل خلق آدم ثم أخذ الخلق من ظهره، وقال: هؤلاء في الجنة ولا**

(١) (صحيح): رواه الترمذي (٢٦٤٢) والإمام أحمد في مسنده والسلسلة الصحيحة (١٠٧٦) وابن حبان (٦١٧٠) وصححه الألباني في تخريج جامع الترمذي برقم (٢٦٤٢).

(٢) رواه أبو داود (٤٧٠٣) والترمذي (٣٠٧٥) أحمد في مسنده برقم (٤٤١) والبزار برقم (٢١٤٤) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٤٩).

(٣) (صحيح): رواه الترمذي (٣٣٦٨) وابن حبان (٦١٦٧) والبيهقي (٢٠٣٠٧) وصححه الألباني في المشكاة (٤٦٦٢) وصحيح الترمذي (٢٦٨٣).

أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي» قال: فقال قائل يا رسول الله فعلى ماذا نعمل؟ قال: «على مواقع القدر»(١).

وفي الباب عن معاذ ونضرة عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، وحديث عبد الرحمن هذا رجاله في الصحيحين إلى الصحابي. وروى إمام دار الهجرة مالك بن أنس - رحمه الله تعالى - عن زيد بن أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أنه أخبره عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب سئل - رضي الله عنه - عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، فقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: سمعت رسول الله - ﷺ - يسأل عنها، فقال رسول الله - ﷺ -: «إن الله تبارك وتعالى خلق آدم، ثم مسح ظهره بيمينه حتى استخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للنار، وبعمل أهل النار يعملون». فقال رجل يا رسول الله، ففيم العمل؟ قال: فقال رسول الله - ﷺ -: «إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة؛ فيدخله ربه الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار، فيدخله ربه النار»(٢).

[الشرح]:

● قوله في الحديث «استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة» دليل على أنه بحمد الله في الأغلب الأعم من عاش على الطاعة مات عليها. وعلى أنه من عاش على الطاعة نادراً ما يموت على المعصية. ولكن وجود قلة تعيش على الطاعة وتموت على المعصية بعدل الله أوجب الخشية عند كل عاقل أن يكون من هذه القلة.

● قوله في الحديث «بعمل أهل النار يعملون» دليل على أن العبد لا يدخل النار إلا بالعمل.

---

(١) (صحيح): صححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٤٨) سبق تخريجه.

(٢) (صحيح): رواه أبو داود والإمام أحمد وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (٤٧٠٣) سبق تخريجه.

● قوله «استعمله» أي جعله بإرادته هو يعمل ما كتبه الله له أو عليه فالله أعز من أن يجبر العبد على شيء بلا إرادة من العبد.

● قوله «خلقت هؤلاء للنار» يدل صراحة على إرادة الله كونًا لكفر البعض وعصيانه.

● وفي هذا الحديث أيضًا رد على زعم البعض أن الإيمان بالقدر ينافي العمل، فأخبر الرسول -ﷺ- أن دخول الجنة بأسباب، كما أن دخول النار بأسباب فعلى العبد الأخذ بأسباب دخول الجنة وترك أسباب دخول النار.

■ **وقال الإمام أحمد - رحمه الله تعالى -: حدثنا حسين بن محمد حدثنا جرير - يعني ابن أبي حازم - عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي - ﷺ - قال: «أخذ الله تعالى الميثاق من ظهر آدم بنعمان - يعني عرفة - فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلاً: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾** [الأعراف: ١٧٢، ١٧٣] **صححه الحاكم**(١).

وروى ابنه عبد الله في زوائده على مسند أبيه حدثنا محمد بن يعقوب الربالي حدثنا المعتمر بن سليمان سمعت أبي يحدث عن الربيع بن أنس عن رفيع أبي العالية عن أبيّ بن كعب - رضي الله عنه - في قوله - عز وجل -: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية، قال: (جمعهم فجعلهم أرواحًا، ثم صورهم فاستنطقهم، فتكلموا ثم أخذ عليهم العهد والميثاق، وأشهدهم على أنفسهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ قالوا: ﴿بَلَىٰ﴾. قال: فإني أشهد عليكم السموات السبع، والأرضين السبع، وأشهد عليكم أباكم آدم - عليه السلام -؛ أن تقول يوم القيامة: لم نعلم بذلك، اعلموا أنه لا إله غيري؛ ولا رب غيري، فلا تشركوا بي شيئًا، إني سأرسل إليكم رسلي يذكرونكم عهدي وميثاقي، وأنزل عليكم كتبي. قالوا: شهدنا بأنك ربنا وإلهنا، لا رب غيرك. فأقروا بذلك» الحديث. وقال الإمام الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه(١).

---

(١) (صحيح): رواه أحمد وصححه الحاكم والألباني في مشكاة المصابيح برقم (١٢١)، والصحيحة برقم (١٦٢٣) وفي تخريجه رحمه الله لكتاب السنة لابن أبي عاصم برقم (٢٠٢) سبق تخريجه.

(١) (حسن): رواه عبد الله بن أحمد في زوائده على مسند أبيه (٢١٢٧٠) وحسنهُ الألباني في مشكاة المصابيح برقم (١٢١).

[الشرح]:

● قوله « سأرسل إليكم رسلي » دليل على عدم الاكتفاء بالميثاق في إقامة الحجة بل لابد من إرسال الرسل رحمة من الله وإعذارًا إلى العباد.

● قوله « شهدنا بأنك ربنا وإلهنا » دليل على كون الميثاق على الربوبية والألوهية معاً، خلافًا لمن قال الميثاق على الربوبية فقط فمن أخطأ فيها جاهلاً لا يعذر وأما من أخطأ في الإلهية فيعذر وهذا باطل إذ الميثاق على الأمرين معًا ويدل عليه حديث أنس الآتي، ويدل كذلك على أن الميثاق وحده ليس بحجة بل لابد من إرسال الرسل وفي الحديث «**ليس من أحد أحب إليه العذر من الله ومن أجل ذلك أرسل الرسل**»(١).

■ **وقال البخاري - رحمه الله تعالى -: حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبي عمران قال: سمعت أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذابًا يوم القيامة: لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم، فيقول: أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي، فأبيت إلا أن تشرك بي» ورواه مسلم وغيره**(٢).

والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وقد قدمنا منها جملة وافية في أول هذا الشرح عند الكلام على الميثاق. ولله الحمد والمنة.

تنبيهات:

١- أخطأت المعتزلة ومثلها جماعات التكفير واستدلت بآيات وأحاديث الميثاق على كون الفطرة حجة كافية في عذاب البشر، وقالوا: كل من أخطأ في مسائل الاعتقاد ولو كان جاهلاً فلا عذر له فالميثاق الذي أخذ عليه كاف كحجة مستقلة. وهذا قول باطل إذ يقول تعالى: ﴿ **وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً** ﴾ [الإسراء: ١٥] وقال تعالى: ﴿ **رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ** ﴾ [النساء: ١٦٥] وقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «**ما من أحد أحب إليه العذر من الله ومن أجل ذلك أنزل الكتب وأرسل الرسل**»(*١) فعدل الله

---

(١) (متفق عليه): رواه البخاري في كتاب التوحيد (٧٤١٦)، ومسلم في كتاب اللعان برقم (٣٨٣٧).

(٢) (متفق عليه): رواه البخاري في كتاب الرقاق برقم (٦٥٥٧)، ومسلم في صفة القيامة والجنة والنار برقم (٧٢٦١).

(*١) أخرجه الحاكم (٨٠٦٠) وقال: هذا حديث صحيح الاسناد وعلق عليه الذهبي بالصحة.



يقتضي كون الميثاق والفطرة كافيين في إقامة الحجة على العباد، ولكن فضل الله حكم بأنه لا حجة إلا بعد بعثة الرسل إذ هو يحب العذر.

٢- كذلك أخطأ البعض فأنكر الميثاق وقال: هو كناية عن الفطرة التي يشهد بها قلب العبد وقال بذلك خشية أن يكون الميثاق حجة مستقلة ويرد على هذا صريح الآية ﴿ **قَالُوا بَلَى** ﴾ فإنه يدل على كونها مقالة حقيقية وصريح أحاديث أخذ الميثاق يؤيد ذلك أيضاً.

٣- في هذه الآيات والأحاديث إثبات الميثاق والفطرة وأن كل عبد يولد على الفطرة فقد أمر بالإلهية والربوبية لله ومعنى هذا أنه لو خلى وشانه لوحد الله وآمن، ولكن تدخل الأبوين يؤثر عليه بعد ولادته كما في الحديث «**فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**».

٤- في معرفة أخذ الميثاق على العباد زيادة ليقين العبد بأن الهداية هداية الله فها هم جميعاً يقرون بالتوحيد والوحدانية ولكن لم يرد الله قدراً الهداية لجميعهم فاهتدى من أراد الله له الهداية وفعل من أراد له قدراً الغواية كل بإرادته ومشيئته.

فائدة:

الهداية أنواع:

أ- هداية الله كل مخلوق إلى أمور معاشه كما قال تعالى: ﴿ **الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ** ﴾ [الأعلى: ٢،٣] ومنه اهتداء المخلوقات إلى أسباب رزقها، واهتداء الذكر كيف يأتي الأنثى، واهتداء الجنين في بطن أمه إلى أخذ الغذاء، واهتدائه بعد الولادة إلى مص ثدي أمه.

ب- هداية الدلالة والإرشاد: وتكون عن طريق الرسل والدعاة إلى الله كما قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ [الشورى: ٥٢].

جـ- هداية التوفيق والإسعاد: وهي لله وحده كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ** ﴾ [القصص: ٥٦].

د- الهداية في الآخرة: فيهدي المؤمنين إلى طريق الجنة قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (٤) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (٥) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ** ﴾ [محمد: ٤-٦]، وفي الحديث عن أهل الجنة: «**فوالله لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله في الدنيا**»[١] ويهدي الكفار إلى النار كما قال تعالى: ﴿ **فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ** ﴾ [الصافات: ٢٣].

(١) (صحيح): رواه البخاري في كتاب الرقاق برقم (٦٥٣٥).

(فصل) التقدير (الثالث) العمري عند تخليق النطفة في الرحم

فيكتب إذ ذاك ذكورتها وأنوثتها، والأجل، والعمل، والشقاوة، والسعادة، والرزق، وجميع ما هو لاق، فلا يزاد فيه، ولا ينقص منه. قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [الحج: ٥] الآيات، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلا تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١] وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [غافر: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ [النجم: ٣٢]، وغيرها من الآيات.

وروى البخاري ومسلم بإسناديهما إلى سليمان الأعمش قال: سمعت زيد بن وهب عن عبد الله - يعني ابن مسعود - رضي الله عنه - قال حدثنا رسول الله - ﷺ - وهو الصادق المصدوق: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك؛ فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات تكتب: رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد. فوالذي لا إله غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها» وهذا لفظ مسلم(١).

[الشرح]:

- قوله «يكون في ذلك» أي في الرحم.
- قوله «يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا» أي أربعين يومًا نطفة - ثم أربعين علقة ثم أربعين مضغة فهي مائة وعشرون يومًا لحديث «فإذا مر بها مائة وعشرون يومًا أرسل الله ملكًا ...» وقال بعض العلماء تكون نطفة ومضغة وعلقة أربعين يومًا لا مائة وعشرين يومًا.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب بدء الخلق برقم (٣٢٠٨)، ومسلم في القدر برقم (٦٨٩٣) سبق تخريجه.



• قوله « فيسبق عليه الكتاب فيعمل » فيه دليل على أن العبد لا يدخل النار إلا بعمل وقد سبق بيان هذا.

• ليس في هذا الحديث ذكر كتابة الذكورة والأنوثة وهو مذكور في حديث أنس الآتي:

فوائد الحديث:

١- في الحديث دليل على كون الرزق مكتوبًا مقدراً، فلا يطلبنه أحد بالحرام، إذ الحرام سبب غير شرعي لا فائدة فيه فهو كلا سبب فالأخذ به ضياع للوقت والجهد، فليطلب العبد الرزق الحلال وفي الحديث «**فاتقوا الله وأجملوا في الطلب**»(١) أي اطلبوا الطلب الجميل وهو الرزق الحلال وفي الأثر «**إن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته**» وفي أثر آخر «**لا بارك الله في رزق يلهي عن الصلاة**».

٢- في الحديث كذلك الأخذ بأسباب الطاعة فلا يبقى لأحد عذر بمعنى أن العمل مكتوب وذلك لا يمنع الأخذ بأسباب الطاعة، كما أن الرزق مكتوب والكل مجمع على الأخذ بأسبابه فإذا اتفقنا على الأخذ بأسباب الرزق فكذلك فلنأخذ بأسباب الطاعة.

■ **ولهما من حديث حماد بن زيد عن عبيد الله بن أبي بكر بن أنس عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «وكل الله تعالى بالرحم ملكًا فيقول: أي رب، نطفة، أي رب، علقة، أي رب مضغة. فإذا أراد الله أن يقضي خلقها قال: أي رب ذكر أم أنثى؟ أشقي أم سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيكتب كذلك في بطن أمه»**(٢).

[الشرح]:

• قوله « فإذا أراد الله أن يقضي خلقها » أي يخلقها الملك بإذن الله ويكتب ما أمره الله به والعبد في بطن أمه.

• قوله « فما الأجل » فيه طمأنة قلب العبد على كتابة الآجال وأنها لا تتغير فليعمل العبد بطاعة الله ولا يخش أحداً.



---

(١) (صحيح): صححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٠٨٥) وأخرجه ابن ماجه (٢١٤٤) والبيهقي في الشعب (٦٩٦٨) وأبو نعيم في الحلية (٣ / ١٥٧) وصححه الألباني (٥٣٠٠) المشكاة.

(٢) رواه البخاري في كتاب القدر برقم (٦٥٩٥).

■ وقال مسلم - رحمه الله تعالى -: حدثني أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن سرح أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن أبي الزبير المكي أن عامر بن واثلة حدثه أنه سمع عبد الله بن مسعود] يقول: الشقي من شقى في بطن أمه، والسعيد من وعظ بغيره فأتى رجل من أصحاب رسول الله -ﷺ- يقال له حذيفة بن أسيد الغفاري فحدثه بذلك من قول ابن مسعود فقال: وكيف يشقى رجل بغير عمل؟ فقال له الرجل: أتعجب من ذلك؟ فإني سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: «إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله تعالى إليها ملكًا، فصورها، وخلق سمعها وبصرها، وجلدها، ولحمها، وعظامها، ثم قال: يا رب، ذكر أم أنثى؟ فيقضي ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يقول: يا رب، أجله؟ فيقول ربك ما شاء، ويكتب الملك. ثم يقول يا رب، ما رزقه؟ فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك، ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده، فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص» وفي رواية له من طريق أخرى: (فيقول: يا رب، أذكر أم أنثى؟ فيجعله الله ذكرًا أو أنثى. ثم يقول: يا رب، أسوي أم غير سوى، فيجعله الله تعالى سويًا أو غير سوي. ثم يقول: يا رب، ما رزقه، ما أجله، ما خلقه؟ ثم يجعله الله تعالى شقيًا أو سعيدًا)(١).

وفي رواية لأحمد: (فيقول يا رب، ماذا أشقي أم سعيد؟ فيقول الله - تبارك وتعالى-، فيكتبان، فيقول: ماذا أذكر أم أنثى؟ فيقول الله عز وجل، فيكتبان. فيكتب عمله، وأثره ومصيبته ورزقه ثم تطوى الصحيفة فلا يزاد على ما فيها ولا ينقص)(٢).

وله عن جابر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «إذا استقرت النطفة في الرحم أربعين ليلة بعث الله إليه ملكًا، فيقول: يا رب، ما رزقه؟ فيقال له فيقول يا رب، ما أجله؟ فيقال له. فيقول: يا رب، ذكر أم أنثى؟ فيعلمه. فيقول يا رب، شقي أم سعيد؟ فيعلمه». تفرد به وإسناده حسن(٣).

وله عن أبي الدرداء -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: (فرغ الله إلى كل عبد من خمس: من أجله، ورزقه، وأثره، وشقي أم سعيد)(٤).

---

(١) (صحيح): رواه مسلم في كتاب القدر برقم (٢٦٤٥) وابن حبان (٦١٧٧) بنحوه والطبراني (٣٠٤٤).

(٢) (صحيح): رواه أحمد في مسنده من حديث أبي سريحة الغفاري (١٦١٨٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٨٠٧٥).

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث جابر بن عبد الله برقم (١٥٣٠٤) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع برقم (٣٦٠).

(٤) (صحيح): رواه الإمام أحمد في مسنده برقم (٢١٧٧١) وابن حبان (٦١٥٠) والطبرني (٢٢٠١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٢٠٢) و (٣٠٤ - الظلال).

[الشرح]:

● قول الرجل «وكيف يشقى بغير عمل» هذا فهم خاطئ منه إذ لا يدخل النار أحد إلا بعمل كما قدمنا في الأحاديث ولم يقل ابن مسعود ولا الصحابة هذا وإنما فهمه القائل خطأ منه.

● قوله «إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون يومًا» أي بعد الأسبوع السادس وهو من الإعجاز العلمي الباهر في السنة، إذ بعد الأسبوع السادس تعرف الذكورة من الأنوثة، وقد ثبت علميًا أن الجنين يبدأ في الحركة في بطن أمه بعد ١٢٠ يومًا، ويحدد جنسه أذكر أم أنثى بعد الأسبوع السادس، إذ فيها يفرز إنزيم ليحدد جنسه أما قبل ذلك فلا يعرف بل قد تكون له أعضاء تشبه أعضاء الأنثى ثم بعد الأسبوع السادس يتبين كونه ذكرًا، بل قد ثبت علميًا أن بداية تكون الأحاسيس من سمع وبصر إنما يكون بعد الأسبوع السادس كما في الحديث.

[فوائد]:

١- هذا الحديث يدل على حرمة الإسقاط بعد الأسبوع السادس وذلك لتخليق الأعضاء حتى ولو لم تنفخ الروح بعد ولكن قد تم تخليق الأعضاء، ولذلك يحرم الإسقاط إلا لضرورة كخشية هلاك الأم وغيرها فإن أسقط الجنين قبل هذه المدة كان حكمه حكم العزل على ما قدمنا، أما لو أسقط بعد الأسبوع السادس فحكمه حكم قتل الجنين عمدًا، على ما ذكره الفقهاء من الكفارة بصيام شهرين متتابعين ودية قدرها عشر قيمة دية الأم بشرط أن ينزل منها ما يعرف أهل الطب كونه بداية خلقة آدمي.

٢- أجمع العلماء على حرمة إسقاط المرأة للجنين بعد مائة وعشرين يومًا إلا لضرورة حفظ حياة الأم وأما قبل مائة وعشرين يومًا ففيه خلاف سائغ والراجح ما ذكرنا.

■ **والأحاديث في ذلك كثير.**

(فصل) والرابع: التقدير الحولي في ليلة القدر: يقدر فيها كل ما يكون في السنة إلى مثلها، قال الله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥﴾ [الدخان: ١ -٥] الآيات.

قال مجاهد: ليلة القدر ليلة الحكم.

وقال سعيد بن جبير يؤذن للحجاج في ليلة القدر فيكتبون بأسمائهم، وأسماء آبائهم فلا يغادر منهم أحد، ولا يزاد فيهم ولا ينقص منهم.

وقال الحسن البصري: والله الذي لا إله إلا هو، إنها لفي رمضان، وإنها لليلة القدر، يفرق فيها كل أمر حكيم، فيها يقضي الله تعالى كل أجل وعمل ورزق إلى مثلها.

وقال ابن عباس: يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من موت وحياة، ورزق، ومطر، حتى الحجاج يقال: يحج فلان، ويحج فلان. وقال مقاتل: يقدر الله تعالى في ليلة القدر أمر السنة في بلاده وعباده إلى السنة القابلة، وقال أبو عبد الرحمن السلمي: يقدر أمر السنة كلها في ليلة القدر وذكر عن سعيد بن جبير في هذه الآية: إنك لترى الرجل غشي في الأسواق وقد وقع اسمه في الموتى.

وروى عن ابن عمر، ومجاهد وأبي مالك، والضحاك: في ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمر السنة وما يكون فيها من الآجال، والأرزاق، وما يكون فيها إلى آخرها. والآثار في ذلك عن الصحابة وأئمة التفسير من تابعيهم بإحسان كثيرة شهيرة.

(فصل) والخامس: التقدير اليومي وهو سوق المقادير إلى المواقيت التي قدرت لها فيما سبق، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [الرحمن: ٢٩].

وروى ابن جرير رحمه الله تعالى عن منيب بن عبد الله بن منيب الأزدي عن أبيه قال: (تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ فقلنا: يا رسول الله وما ذاك الشأن؟ قال: «أن يغفر ذنبا، ويفرج كربا، ويرفع قوما، ويضع آخرين»(١). وروى ابن أبي حاتم عن أبي حاتم عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «قال الله عز وجل: ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾، قال: «من شأنه أن يغفر ذنبًا ويفرج كربًا، ويرفع قومًا ويضع آخرين»(٢) وعلقه البخاري موقوفًا.

وروى البزار عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ قال: «يغفر ذنبًا، ويكشف كربًا»(٣).

وله هو وابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن الله خلق لوحا محفوظًا من درة بيضاء دفتاه

---

(١) (صحيح): الحديث رواه ابن جرير برقم (١٣٥) والبزار برقم (٢٢٦٦) وصححه الألباني في ظلال الجنة برقم (٣٠١).

(٢) (صحيح): علقه البخاري موقوفًا على أبي الدرداء بصيغة الجزم ورواه ابن ماجة برقم (٢٠٢) وابن حبان برقم (٦٨٩) وصححه الألباني.

(٣) (ضعيف): رواه البزار برقم (٢٢٦٨) وضعفه الألباني وقال: وقد اتهمه - أي الحديث - ابن عدي وابن حبان كما في التقريب فلا يصلح شاهدًا.

ياقوتة حمراء، قلمه نور، وكتابه نور، وعرضه ما بين السماء والأرض، ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة يخلق في كل نظرة، ويحيي ويميت، ويعز ويذل، ويفعل ما يشاء(١).

[تنبيه]:

● قوله «من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور .. إلخ» لم يثبت به حديث صحيح ولعل ابن عباس قد تلقاه من أهل الكتاب.

■ وروى ابن أبي حاتم عن سويد بن جبلة الفزاري قال: إن ربكم كل يوم هو في شأن فيعتق رقابًا، ويعطي رغابًا، ويقحم عقابًا.

وقال الأعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ قال: من شأنه أن يجيب داعيًا أو يعطي سائلاً، أو يفك عانيًا، أو يشفي سقيمًا، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: كل يوم هو يجيب داعيا، ويكشف كربا، ويجيب مضطرًا، ويغفر ذنباً.

وقال قتادة: لا يستغني عنه أهل السموات والأرض: يحيي حيًا، ويميت ميتًا، ويربي صغيرًا، ويفك أسيرًا، وهو منتهى حاجات الصالحين وصريخهم، ومنتهى شكواهم، وقال الحسين بن فضل: هو سوق المقادير إلى المواقيت. وقال أبو سليمان الداراني في هذه الآية كل يوم له إلى العبيد بر جديد.

وذكر البغوي رحمه الله تعالى قول المفسرين: من شأنه أن يحيي ويميت، ويخلق ويرزق، ويعز قومًا ويذل قومًا، ويشفي مريضًا، ويفك عانيًا، ويفرج مكروبًا ويجيب داعيًا، ويعطي سائلاً ويغفر ذنبًا إلى ما لا يحصى من أفعاله وإحداثه في خلقه ما يشاء.

وجملة القول في ذلك أن التقدير اليومي هو تأويل المقدور على العبد وإنفاذه فيه، في الوقت الذي سبق أنه ينال فيه، لا يتقدمه ولا يتأخره، كما أن في الآخرة يأتي تأويل الجزاء الموعود: إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، ولكل نبأ مستقر وسوف تعملون، ولهذا قال سفيان ابن عيينة فيما ذكره عنه البغوي رحمه الله تعالى: الدهر كله عند الله يومان: أحدهما: مدة أيام الدنيا، والآخر: يوم القيامة فالشأن الذي هو فيه اليوم الذي هو مدة الدنيا: الاختبار بالأمر والنهي، والإحياء والإماتة، والإعطاء والمنع، يعني وغير ذلك، وشأن يوم القيامة: الجزاء، والحساب، والثواب، والعقاب. ا.هـ.

---

(١) (ضعيف): رواه الطبراني في الكبير برقم (١٠٦٠٥) والحاكم (٣٧٧١، ٣٩١٧) قال الذهبي هذا حديث صحيح الاسناد وإن أبا حمزة لم ينقم عليه إلا الغلو في مذهبه فقط وقال الهيثمي في المجمع (رواه الطبراني في المجمع رجال هذا ثقاة) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع برقم (١٦٠٨).

ثم هذا التقدير اليومي تفصيل من التقدير الحولي، والحولي تفصيل من التقدير العمري عند تخليق النطفة، والعمري تفصيل من التقدير العمري الأول يوم الميثاق، وهو تفصيل من التقدير الأزلي الذي خطه القلم في الإمام المبين، والإمام المبين هو من علم الله عز وجل، وكذلك منتهى المقادير في آخريتها إلى علم الله عز وجل، فانتهت الأوائل إلى أوليته، وانتهت الأواخر إلى آخريته: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴾ [النجم: ٤٢].

(فصل) والمرتبة الثالثة من مراتب الإيمان بالقدر: الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، وهما يجتمعان فيما كان وما سيكون، ويفترقان في ما لم يكن ولا هو كائن. فما شاء الله تعالى كونه فهو كائن بقدرته لا محالة: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢]، وما لم يشأ الله تعالى لم يكن لعدم مشيئة الله تعالى إياه لا لعدم قدرته عليه: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾ [الأنعام: ٣٥] ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ [هود: ١١٨]، ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ [يونس: ٩٩]، ﴿ أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [الرعد: ٣١]، ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [السجدة: ١٣]. فالسبب في عدم وجود الشيء هو عدم مشيئة الله تعالى إيجاده، لا أنه عجز عنه، تعالى الله وتقدس وتنزه عن ذلك ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ [فاطر: ٤٤].

- والإرادة نوعان (كونية) وهي ما أراد تعالى وجوده في الكون وإن لم يكن محبوبًا في ذاته ولكن أراد سبحانه وجوده لحكم بالغة وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا ﴾، قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾، (وإرادة شرعية) وهي ما أراد الله تعالى وجوده شرعًا فهو محبوب له تعالى ولا يلزم حصوله فقد يقع من البعض دون الآخر وذلك كقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾ [النساء: ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴾ [المائدة: ٦].

– والقضاء نوعان: (قضاء كوني): وهو ما قضى الله تعالى وجوده كونًا كقوله تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء:

٤] و(قضاء شرعي) وهو ما حكم الله به شرعًا كقوله تعالى: ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ** ﴾ [الإسراء: ٢٣].

– والأمر نوعان (أمر كوني): وهو ما أمر الله تعالى بحدوثه كونا كقوله تعالى ﴿ **أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا** ﴾ على أصح القولين في تفسير الآية و(أمر شرعي) وهو ما أمر الله تعالى عباده به كقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ** ﴾ [النحل: ٩٠].

– والحكم نوعان: (كوني) كقوله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام: ﴿ **إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ** ﴾ [يوسف: ٦٧]، قوله تعالى: ﴿ **قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ** ﴾ [الأنبياء: ١١٢] و(حكم شرعي) كقوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿ **إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ** ﴾ [يوسف: ٤٠].

– والإذن نوعان: (شرعي) كقوله تعالى: ﴿ **أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ** ﴾ [الشورى: ٢١]، و(إذن كوني): كقوله تعالى: ﴿ **وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾ [البقرة: ١٠٢].

– والتحريم نوعان (كوني) كقوله تعالى: ﴿ **وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ** ﴾ [القصص: ١٢]، وقوله تعالى: ﴿ **فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ** ﴾ [المعارج: ٢٤–٢٥] (وتحريم شرعي): كقوله تعالى: ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ** ﴾ [النحل: ١١٥]، وقوله تعالى: ﴿ **وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ** ﴾ [الأنعام: ١١٩].

[تنبيهات]:

١– لم يرد في الشرع ذكر المشيئة إلا بمعنى الكونية القدرية ولم يرد ذكرها بمعنى المشيئة الشرعية وأما الإرادة فقد ذكرت بالمعنى الشرعي والكوني القدري.

٢– أقدار الله المؤلمة على قسمين:

أ– ما شرع لنا الاستسلام له، كترك الانتقال من البلد التي يقع بها الطاعون.

ب– مما شرع لنا الفرار منه إلى القدر المحمود فنحن نفر من قدر الله إلى قدر الله كالتداوي وأكل الطعام عند الجوع، وكالشرب عند العطش وكلبس الثياب عند البرد وغيرها.

٣– الإرادة الكونية لابد من وقوعها أما الإرادة الشرعية فقد تقع وقد لا تقع، فالمؤمن وافق ربه في الإرادة الشرعية والكونية والعاصي وقعت معصيته بالإرادة الشرعية لا بالإرادة الكونية.

٤- قال عمر بن عبد العزيز «ناظروا القدرية بالعلم فإن أقروا به خصموا وإن أنكروه كفروا» يعني رحمه الله أنه يقال لمن أنكر إرادة الله للشر وقال أراد الخير فقط يقال له ويسأل هل تثبت أن الله يعلم كل شيء؟

فإن قالوا: لا، كفروا لأنهم ينكرون قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢] فصفة العلم معلومة بالضرورة من الدين ولذلك كان نفاة علم الله غلاة متفقًا على تكفيرهم نوعًا وعينًا. وإن قالوا: يعلم كل شيء قلنا لهم: علم أن إبليس سيكفر ومع ذلك خلقه وهو قادر على ألا يخلقه فدل ذلك على أنه أراد الكفر كونًا لحكم عظيمة وبذلك يخصمون.

٥- عدم التفريق بين المحبة والإرادة جعل بعض الصوفية الجهلة يقول: إن مشاهدة العبد للحُكم لم تجعل له استحسان حسنة، ولا استقباح سيئة رؤية أفعال الله لم تجعل العارف يذكر منكرًا، وقالوا: لا ينكر على العصاة إذ قد وقعت المعاصي بإرادة الله ومنه نشأت أفكار الصوفية بترك تغيير المنكرات وترك الجهاد وهذا كله من الضلال المبين إذ الله لا يحب الكفر ولا يرضاه وإن كان قد أراده فالمعاصي قدر من الله أمرنا الله بتغييره وإزالته والسعي في ذلك فإذا قدر الله المعاصي رضينا عن الله في تقديره إذ ما قدر المعاصي إلا لحكم عظيمة سيأتي بعضها إن شاء الله ولكن لا نرضى عن العاصي ولا عن المعصية فالعاصي آثم والمعصية لا يرضى الله بها قال تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]، فكيف نرضى عما لا يرضى الله به؟ ولذلك نقول لا تلازم بين الإرادة الكونية وبين المحبة والرضا.





(فصل) والمرتبة الرابعة: مرتبة الخلق وهو الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء، فهو خالق كل عامل وعمله، وكل متحرك وحركته، وكل ساكن وسكونه، وما من ذرة في السموات ولا في الأرض إلا والله سبحانه وتعالى خالقها، وخالق حركتها وسكونها، سبحانه لا خالق غيره، ولا رب سواه. *وهاتان المرتبتان قد تقدم بسط الكلام عليهما في توحيد المعرفة والإثبات بما أغنى عن إعادته. ولله الحمد والمنة، وبه التوفيق والعصمة.*

(فصل) وللعباد قدرة على أعمالهم، ولهم مشيئة، والله تعالى خالقهم وخالق قدرتهم، ومشيئتهم، وأقوالهم، وأعمالهم، وهو تعالى الذي منحهم إياها، وأقدرهم عليها، وجعلها قائمة بهم، مضافة إليهم حقيقة، وبحسبها كلفوا، وعليها يثابون ويعاقبون، ولم يكلفهم الله تعالى إلا وسعهم، ولم يحملهم إلا طاقتهم، وقد أثبت الله تعالى ذلك لهم في الكتاب والسنة ووصفهم به، ثم أخبر تعالى أنهم لا يقدرون إلا على ما أقدرهم الله تعالى عليه، ولا يشاؤون إلا أن يشاء الله عز وجل، ولا يفعلون إلا بجعله إياهم فاعلين، كما جمع تعالى بين ذلك في غير ما موضع من كتابه كقوله عز وجل ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٨] وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (٢٩) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٢٩، ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (٢٧) لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٧، ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦] الآية، وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ [الطلاق: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢]، أي بسببه وقال تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [يونس: ٥٢].

فأثبت أن العباد لا يعذبون إلا بسبب كسبهم وعملهم وأن مشيئة الله وإرادته لا تنفي عنهم المسؤولية وأثبت كذلك أن للعباد مشيئة ولكنها تابعة لمشيئة الله بقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ وقال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ﴾ فمع أن الصلاة فعل العبد إلا أنه لا يكون مصلياً حتى يجعله الله مصلياً وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦] وفي الحديث: «**إن الله خالق كل صانع وصنعته**»(١).

---

(١) أخرجه الحاكم (٨٥) بلفظ المتن وقال الذهبي في التلخيص: على شرط مسلم و (٨٦) بلفظ المتن وقال – الحاكم – هذا حديث صحيح على شرط مسلم لم يخرجاه. صححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة بلفظ «إن الله يصنع كل صانع وصنعته» وقال ولفظه عند الحاكم «خالق مكان – يصنع –».

وقال النبي ﷺ : «**إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستهديه، ونستغفره، ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له**»(١).

وكان الرسول يكثر منها في خطبه في كل مجمع ليستقر هذا المعنى في نفوس الصحابة وليعلموا ضرورة الإستعانة بالله على شرور النفس وأنهم لا حول لهم ولا قوة إلا بالله وفي الحديث يقول النبي لمعاذ: «**لا تدع أن تقول دبر كل صلاة مكتوبة اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**» فالعبادة والذكر فعل العبد ولكنه لا يقدر العبد عليهما إلا بإعانة الله له وتوفيقه.

● قوله «شرور أنفسنا» نسب الشر إلى النفس إذ هي أهله وهي التي فعلته واكتسبته ونسب الخير إلى الرب إذ هو أهله نعم هو الذي خلق الشر ولكن خلقه لحكم ومصالح باهرة.

وقال البخاري رحمه الله تعالى: باب ﴿**وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ**﴾ [الأعراف: ٤٣] - ﴿**لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾ [الزمر: ٥٧]

● قوله تعالى: ﴿**لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾ فيه ذم الله تعالى لمن قال هذا مع أنه قال الحق وإنما ذمه الله لأنه قالها اعتذاراً عن نفسه كأنه لا لوم عليه ولا خطأ عكس من قالها استسلامًا لأمر الله.

■ **حدثنا أبو النعمان أخبرنا جرير هو ابن حازم عن أبي إسحق عن البراء بن عازب] قال: رأيت النبي ﷺ يوم الخندق ينقل معنا التراب وهو يقول: «والله لولا ما اهتدينا ولاصمنا ولا صلينا، فأنزلن سكينة علينا، وثبت الأقدام إن لاقينا، والمشركون قد بغوا علينا، إذا أرادوا فتنة أبينا**»(٢).

● **قوله في الحديث «لولا الله ما اهتدينا» فيه عدة فوائد:**

١- نفي العجب والفخر بالطاعة عن النفس إذ ما كسب العباد من طاعة إلا بالله.

٢- نفي الحقد والحسد عن قلب العبد فلو علم العبد أن المواهب هبة من الله فإنه لا

---

(١) قال الشيخ الألباني: بعض الخطباء وغيرهم يزيدون «ونستهديه» أو غيره فيرجى الإنتباه أن ذلك لم يرد ولا يجوز الزيادة على تعليم الرسول ﷺ كما هو معلوم. ا.هـ. مقدمة «الرد المُفْحِم» والحديث بدون نستهديه: (صحيح): إذ رواه مسلم في الجمعة في جزء من حديث برقم (٨٦٨) والنسائي (٣٢٧٨) وابن حبان (٦٥٦٨) والبيهقي في الكبرى (٥٥٩٥).

(٢) (صحيح): رواه البخاري في كتاب القدر برقم (٦٦٢٠) ومسلم (١٨٠٣) بنحو منه، وأبو نعيم في الحلية (٧ / ١٣٢) بلفظ «ولا تصدقنا ولا صلينا» و (إن الأولى قد بغوا علينا).

يحقد ولا يحسد إذ ذلك فضل الله يوزعه على من يشاء فعلاج الحسد والحقد استحضار أن ذلك قسم الله وقد حسد الكفار الرسل وقالوا لهم « إن أنتم إلا بشر مثلنا » أي فلماذا تدعون فضلكم فقال لهم الرسل علاجاً للحسد ﴿ **إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ** ﴾ [إبراهيم: ١١].

٣- يفيد الحديث أيضًا دوام الافتقار إلى الله ودوام سؤاله الهداية ولذلك كرر التنبيه على ذلك في القرآن بل فرض على العبد أن يشهد هذا بقوله: ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾ وبقوله: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾.

٤- في الحديث أيضاً اليأس من النفس فهي لا تصلح في علم ولا عبادة ولا دعوة ولا جهاد إلا بتوفيق الله ومنته وأساس كل خير يأس العبد من نفسه وثقته وتوكله على الله وهذه حال الرسل وهذا سبب النصر على الأعداء قال تعالى: ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا** ﴾ [يوسف: ١١٠]، وقد امتن الله على رسله بجعلهم أئمة يهدون الناس فقال: ﴿ **وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا** ﴾ [الأنبياء: ٧٣]، وامتن كذلك علي سليمان بالفهم فقال: ﴿ **فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ** ﴾ [الأنبياء: ٧٩] فالعالم لا يفهم ولا يعي إلا بالله.

● وهذه المنزلة قد كثر ذكر القرآن لها بلفظ الجعل كقوله ﴿ **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا** ﴾ [النحل: ٨٠] مع كون العباد هم الذين يبنون بيوتهم ولكن امتن الله عليهم بفعله وجعله إذ لا قدرة لهم على فعل إلا بإذنه هو، وقال تعالى: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا** ﴾ [الأنعام: ١١٢] وقال تعالى: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ** ﴾ [الأنعام: ١٢٣]، وقال تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ** ﴾ [الفرقان: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ** ﴾ [يس: ٩] فالكفر فعل العبد ولكن الله حال بين الكفار وبين الإيمان وجعل على أبصارهم غشاوة. ولفظ (الجعل) أفضل إذ فيه إثبات فعل العبد وأنه قد فعل بإرادته ولكن تلك الإرادة بجعل الله له يعمل فهذا اللفظ أفضل من لفظ (خلق أفعال العباد) ولعل علماء أهل السنة أكثروا من لفظ (الخلق) لكون المبتدعة صرحوا بنفيه فصرحوا هم بإثباته لتزول الشبهة وإن كان لفظ الخلق صحيحًا ومستعملاً.

● وأفعال العباد أثر لأفعال الله فإرادة العبد أثر من آثار إرادة الله وليست إرادة العباد

مشاركة لإرادة الله يتحكمان في الفعل معًا وليست إرادة العباد بدلاً عن إرادة الله فتؤثر إرادة الله أحيانًا وتؤثر إرادة العبد أحيانًا بل إرادة العبد أثر من آثار إرادة الله وإرادة الله هي الموجبة لوجود أفعال العباد.

● ولإرادة الله تأثير في إرادة العبد من وجوه يدركها كل عاقل منها:

أ- في اختيار نشأته وبيئته وعقله الذي يفهم والطباع التي يتربى عليها والدين الذي ينشأ عليه كل ذلك يؤثر في إرادة العبد واختياره وهذا كله باختيار الله فالعبد لا إرادة له في هذا كله بل هو محض إرادة الله.

ب- في توجيه العبد:

وتوجيه إرادته إلى ما يريده سبحانه ولا ينفي هذا مسئولية العبد فالعبد له إرادة ومشيئة غير معدومتين قيمة ولكن الله يوجهه لما يريد ونفي قدرة الرب وخلقه لأفعال العباد نفي ذلك ينافي الحس والعقل والفطرة إذ إرادة الإنسان مرتبطة بالأعضاء التي خلقها الله ومرتبطة بالأخلاق التي جبله الله عليها وفي الحديث: «**واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت**» والعقل السليم يؤكد تأثير إرادة الله في إرادة العباد إذ الإنسان منذ كونه حيوانًا منويًا لم تكن له إلا إرادة واحدة مخلوقة وهي طلب البويضة ثم تتكون له في بطن أمه إرادات ينشئها الله فيه كإرادة الحركة داخل بطن أمه مع بعض السوائل شيئًا فيشعر بإرادة فإذا ولد أحس بإرادته للتنفس والطعام ثم يكبر شيئًا فيشعر بإرادة الكلام وكل ذلك بأقدار الله له ومع نمو سنه تنمو رغباته وإرادته وتنشئ عنده رغبة التملك وحب المال ثم يبلغ وتنشأ عنده إرادة الجنس الآخر وكذلك إرادته في العلو وحب الرياسة وهذه عامة الرغبات التي تدور حولها إرادات البشر وكلها كانت عدمًا وقد أوجدها الله في الإنسان وبعض الناس لا تخلق فيه كل هذه الإرادات فالعبد منفعل لإرادة الله وكل إرادة لم يردها الله للعبد لا يستطيعها العبد ولا يقدر عليها فلو لم يتعلم الجنين وهو في بطن أمه كيف يمص الثدي لخرج وهو لا يستطيع الرضاع فيدخل الأطباء له أنابيب صناعية وكثيرًا ما يموت هؤلاء الأطفال فكيف مع هذا يزعم الإنسان استقلال إرادته وقدرته عن إرادة الله؟

● والناس في القدرة الإنسانية وفعل العبد على أقسام:

١- من ينفي قدرة الله على أفعال العباد الاختيارية - وهم المعتزلة القدرية فقد قالوا لا قدرة لله إلا على الأفعال الاضطرارية كدق القلب وغيرها، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرًا ومن هؤلاء من يثبت قدرة الله وإرادته لأفعال العباد بالخير وينفيها في الشر.



٢- من ينفي قدرة العباد وإرادتهم مطلقاً وهم الجبرية فحركة العبد عندهم في الطاعة والمعصية كتنفسه وحركة قلبه وقولهم خلاف الحس والعقل والشرع إذ يظهر لكل أحد الفارق بين حركة اليد إلى شرب الخمر أو في ضرب إنسان وبين حركة يد من أصابه مرض الشلل الرعاش وحركة القلب اللاإرادية.

٣- مذهب الأشاعرة قالوا للعبد قدرة ومشيئة ولكن لا أثر لها في الأفعال إنما تقع الأفعال مع القدرة والإرادة مقترنة بهما وهو في الحقيقة مذهب الجبرية ولكن خالفوهم في اللفظ فالفعل عندهم يقترن مع الإرادة ولا أثر لأحدهما في وجود الآخر كالأخ يولد مع توأم نعم قد اقترنا وتزامن وجودهما ولكن لا أثر لأحدهما في الآخر فالنار عندهم لا تحرق ولكن الإحراق يقترن بها والجوع عندهم لا يسده الطعام إنما يخلق الله الشبع عند أكل الطعام فهم غلاة في نفي الأسباب وهذا المذهب يؤدي إلى ضياع قوة القلب عند مباشرة الأسباب فتراهم يدعون بيأس وعدم ثقة لعلمهم بعدم فائدة الدعاء إنما هو عندهم مجرد أمر لا أثر له وهكذا حالهم عند مباشرة باقي الأسباب.

وقالوا: لله قدرة ومشيئة وكذلك للعباد قدرة ومشيئة ولكن قدرة الله وإرادته إجمالية لا تفصيلية فهو أراد إجمالاً وجود الخير والشر وأراد قدرة وإرادة للعباد دون أن يقتضي ذلك إرادته لكل فعل منهم على التفصيل ومثلوا لذلك بنهر جار وقالوا: اقتضت إرادة الله جريانه في هذا المجرى ولا يلزم وجود إرادة منه سبحانه لجريان كل قطرة فيه وهذا كلام الجويني ومال إليه ابن القيم في موضع من كلامه أما فعل العبد التفصيلي فهو بقدرته وإرادته هو وهذا كلام باطل ويرد عليهم قوله تعالى: ﴿ **وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ** ﴾ [التكوير: ٢٩] وهي آية عامة تفيد الحصر والقصر فما من مشيئة للعبد ولو قليلة إلا بمشيئة الله ولا فعل له إلا بمشيئة الله وفي الحديث يقول النبي ﷺ: «لا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً» كأن العبد يحتاج إلى الله وقدرته في كل حركة وسكنة وفي كل نفس قال تعالى: ﴿ **وَمَا يَذْكُرُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ** ﴾ [المدثر: ٥٦]، فما من حرف يذكر العبد به ربه إلا بمشيئة الله.

٤- مذهب أهل السنة والجماعة: أن لله قدرة شاملة ومشيئة نافذة تفصيلية وإجمالية لذوات العباد وأفعالهم الاضطرارية والاختيارية لا يكون في ملكه إلا ما يريد وهو على كل شيء قدير ولا يخرج مخلوق عن مشيئته وقدرته وخلقه وقد جعل الله للعباد قدرة ومشيئة بها تقع أفعالهم الاختيارية فهم فاعلون حقيقة بإرادة ومشيئة خلقها الله لهم وهذا هو الكسب وقد خلق الله الأسباب وجعلها مؤثرة بإذنه فالنار تحرق والجوع يسد بالطعام لا مع

الطعام بدليل قوله تعالى: ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [المرسلات: ٤٣]، وقوله: ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ [يونس: ٥٢]. فالباء باء السببية التي تدل على أن الأسباب مؤثرة في النتائج وليست فقط بالأفعال كما يزعم الأشاعرة وأثر الأسباب في النتائج لا يقع إلا بمشيئة الله وقدرته ولو شاء الله أن يمنع الأثر لمنعه كما قال تعالى: ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

● فأفعال العبد أثر لفعل الله فالعبد يتزكى والله يزكيه فالتزكي فعل العبد والتزكية فعل الرب، والعبد يهتدي والله يهديه فالهداية فعل الرب والاهتداء فعل العبد، والعبد يضل والله يضله فالضلال فعل العبد والإضلال فعل الرب، وتزكى العبد واهتداؤه لا يصلحان إلا بهداية الله له وتزكيته له وفي الحديث: «**اللهم آتِ نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها**»(١).

[تنبيه]:

● قالت المعتزلة في قوله تعالى: ﴿ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ [الكهف: ١٧] قالوا (يهد الله) أي يسميه مهتديًا و(يضله) أي يسميه ضالاً وهذا كلام باطل فلو رأى إنسان رجلاً مقتولاً فقال هذا مقتول هل يقال على من قال هذا إنه قاتل لأنه سمى المذكور مقتولاً؟! هذا كلام سخيف يرده العقل والفطرة والشرع واللغة.

● فوائد الإيمان بمرتبة خلق الله لأفعال العباد:

١- الإيمان بأن قدرة الله فوق قدرة العباد فما من فعل لأعداء الدين بالمسلمين إلا وقد قدره الله لمصلحة المسلمين فأمة الإسلام يحبها الله قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] وهي كريمة عليه وينصرها سبحانه حتى على يد أعدائها ففي الحديث «**إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر**»(٢) فإن حدث للأمة ما ظاهره الشر علمنا أن الله مخرج من ورائه خيرًا كثيرًا قال تعالى: ﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

---

(١) اللفظ بصحيح الحديث: «**اللهم آت نفسي تقواها وزكّها أنت خير من زكاها**» والحديث جزء من حديث (**صحيح**): إذ رواه مسلم في كتاب «الذكر والدعاء والتوبة» برقم (٢٧٢٢) والنسائي (٥٤٥٨، ٥٥٣٨) وعبد الله بن أحمد (١٩٣٢٧).

(٢) (**متفق عليه**): رواه البخاري في الجهاد برقم (٣٠٦٢)، ومسلم في الإيمان برقم (١١١) كلاهما من طريق معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ وأحمد (٨٠٧٦) والدارمي وابن حبان (٤٥١٩) والطبراني في الأوسط (٣٣٩٣) والنسائي في الكبرى (٨٨٨٣).



٢- الثقة بالله وحده وعدم المبالاة بمكر أعداد الدين، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥، ١٦]، فإذا أراد الله نشر الدين ونصره في وقت ما فلا بد من وقوع ذلك ولو كانت الأسباب منتفية، فها هو فرعون على ما أوتي من قوة وسلطان تؤمن زوجته ويؤمن مؤمن آل فرعون من وسط آل فرعون وكذلك وسط بلاد الكفر والصد عن سبيل الله يؤمن الشباب وتنتشر الدعوة.

٣- الخوف من طبع الله على قلب عبده إذا يسر له أسباب الهداية وأعطاه القدرة والإرادة فإن لم يستجب العبد طبع الله على قلبه وختم عليه ومن رحمة الله أن الطبع والختم لا يكون بعد أول معصية كما قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠]، وفي الحديث: «**من ترك ثلاث جمع تهاونا بها طبع الله على قلبه**»(١).

٤- في الإيمان بهذا تفسير لاعتقادات العباد التي لا يقبلها عقل كإيمان النصارى بأن الله ثلاثة وواحد في نفس الوقت وقولهم مات الإله وهو حي في نفس الوقت وكعبادة البعض للفئران والبقرة فلولا أن الله طبع على قلوبهم لما صدرت منهم هذه الاعتقادات والأقوال ولا جرت على لسان عاقل.

٥- في الإيمان بالمشيئة الإلهية النافذة وأنها فوق مشيئة العباد تصبير العباد على ما يقع بالأرض من كفر ومعاص وافتراق للأمة على مذاهب وافتراق للقلوب فلا يكاد العبد يصبر على مثل هذا إلا باستحضاره لقضاء الله الحكيم وبعلمه أن من ورائه خيراً كثيراً فالله الرحيم هو الذي شاء هذا وقدره.

٦- كذلك في العلم بقدرة الله النافذة منع لتكبر الإنسان ووضع للأمور في نصابها فها هي حضارة الغرب الملحد تزعم أنها قد وصلت إلى كل شيء وأصبحت قادرة على كل شيء وخرجوا ينادون بأنهم يتحدون قدرة الله فإذا رأى العبد كيف يفعل الله بهم ما لا يريدون رغماً عنهم علم قدرة الله فها هم يحاولون هدم الإسلام والقضاء على أهله ويأبى الله إلا أن يكثر عدد المسلمين حتى في بلادهم، بل يجعل سبحانه من أعمالهم ما ينشر به الدين ويؤيده وانظروا إليهم كيف أرسلوا مركبة الفضاء (challenger) [أي التحدي] كأنهم يتحدُّون قدرة الله فإذا بالمركبة تحترق قبل خروجها والله على كل شيء قدير.

---

(١) (**صحيح**): صححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٦١٤٣).

● أراد الله كونًا وجود الكفر والمعصية لحكم كثيرة نعلم بعضها ونجهل كثيراً فيها منها فمن هذه الحكم:

أ- ليظهر صدق المؤمنين حيث يعبدون ويؤمنون في وسط مليئ بالمعاصي والكفر فيكون دليلاً على صدق إيمانهم.

ب- حتى يوجد عصاة وكفار يتوب بعضهم فيتوب الله عليهم فتظهر صفة التوبة والمغفرة والعفو والله يحب التوابين ويحب أن يتوب على عباده فلولا وجود العصاة لما ظهرت آثار صفات الله وفي الحديث «**لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيتوب الله عليهم**» فيستغفرون الله فيغفر لهم(١).

جـ- لتظهر للعباد رحمة الله كيف خلق أناساً وأنعم عليهم بكل النعم ثم يعصونه ثم يتوب عليهم ولولا وجود العصاة ما ظهر هذا.

د- يظهر مقتضى صفات الله من عذابه للعصاة وانتقامه من المجرمين فالله شديد العقاب والله عزيز ذو انتقام.

هـ- لتظهر آثار قدرة الله حيث خلق الملائكة التي لا تعصي أبداً وخلق الإنس والجن الذين يطيعون ويعصون وخلق المتضادات أدل على القدرة.

و- يوجد الولاء والبراء فيعادي الرجل أباه وابنه والناس كلهم كل ذلك من أجل دين الله فهذا لا يظهر إلا بوجود عصاة يعاديهم المؤمنون.

ز- ظهور عبادة الجهاد وترك الوطن لله ودعوة الناس إلى الحق والصبر حتى الشهادة ثم اتخاذ الله للشهداء واصطفائهم كما يحب سبحانه وهذا لا يكون إلا بوجود الكفر والكفار وقد قال تعالى في معرض ذكره لحكم تقديره لهزيمة المسلمين في أحد ﴿**وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ**﴾.

ح- حتى توجد عبادة من يعبد مع وجود داعي الشهوة في قلوبهم والشيطان يأزهم إلى المعصية ومع ذلك يطيعون الله ولا يعصونه فهذا أكبر دليل على أنهم قدموا محبة الله على محبة الشهوات.

ط- أن يعرف العباد حكمة الله الباهرة حيث خلق الشر وما تكرهه النفوس لحكم باهرات فها هو المرض يكفر سيئات المؤمن وها هي المعصية لو تاب المؤمن منها لبدلت سيئاته حسنات، بل هي كذلك تنفع المؤمن بكسر عجب نفسه، فكم من طائع معجب

(١) رواه مسلم (٢٧٤٩ - التوبة) وعبد الله بن أحمد (٨٠٦٨) والبيهقي في شعب الإيمان (٧١٠٢).



متكبر وكم من عاص تائب متواضع، ثم إذا مات الكافر على كفره فعذابه يوم القيامة وموته على الكفر يوجب مزيد الشكر من المؤمنين إذ أحياهم الله وأماتهم على الإيمان، ويوجب لهم في الدنيا الخوف من سوء الخاتمة، فتزداد طاعتهم وتعلو درجاتهم في الجنة فسبحان الله الحكيم الخبير.

● فإن قيل لماذا اختار الله فلانًا للكفر وفلاناً للإيمان؟ قلنا هو سبحانه أعلم بعباده فزرع الكفر حيث ينبت الكفر وزرع الإيمان حيث ينبت الإيمان ولو زرع الزارع البذر الطيب في الأرض الخبيثة والبذر الخبيث في الأرض الطيبة لما نبت شيء ولكان سفهاً يخالف العلم فالله هو العليم الخبير وقد وضع كل بذرة حيث تنبت وفي الأرض الصالحة لها.

● فإن قيل من الذي جعل قلب الكافر لا يقبل إلا الكفر وقلب المؤمن لا يقبل إلا الإيمان؟ ومن الذي خلق الكفر في قلب الكافر وخلق الإيمان في قلب المؤمن؟ قلنا هو الله فإن قيل لم؟ قلنا هذا هو سر الله في القدر الذي لا يعلمه غيره ولعل الناس تعرف هذا الغيب وغيره يوم القيامة ففي القدر عدة مسائل لا يعلم كيفيتها إلا الله ولا يفهمها الخلق في الدنيا سنوردها بعد قليل إن شاء الله فليحذر المؤمن من التفكير فيها فهي سبب الشك وقد قال الطحاوي «فالحذر الحذر من التفكير في القدر فهو سلم الطغيان ودرجة الحرمان» والعقل البشري لا يفهم كثيراً من الأشياء ولا يعرف كيفيتها وهذا أمر مضطرد في الدين وفائدة هذا أن العقل لو علم كيفية كل شيء لما كان هناك إيمان بالغيب فالمؤمن حقًا هو الذي يؤمن بالشيء مع عدم علمه بكيفيته ومن رحمة الله أن جعل أشياء يعقلها العباد ويعلمون كيفيتها حتى يستدلوا بما علموا الحكم الباهرة فيه على وجود حكم باهرة في ما لا يعلمون كيفيته.

فائدة:

هناك أمور في القدر يجب الإيمان بها لا تعلم كيفيتها ولكن يجب التسليم التام بأن الله لا يظلم أحداً مثقال ذرة وهي:

أ- لماذ خلق الله قلب الكافر لا يقبل إلا الكفر وخلق قلب المؤمن لا يقبل إلا الإيمان؟

ب- ما هي الخفايا التي تسبب لبعض العباد سوء الخاتمة مع أنهم قد يكونون على الطاعة؟ فهذا مما يعلمه الله ولا يظلم الله الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون.

جـ- الله هو الجبار: قال بعض السلف «هو الذي جبر العباد على ما أراد ليفعلوه بإرادتهم هم» فالله أعز وأعلى من أن يجبرهم على ما يريده دون إرادة منهم بل العباد بإرادتهم يفعلون ما أراده الله وليس عدم فهمنا لكيفية ذلك مسوغًا لإنكار إرادة العبد فالمرء

لا يستطيع فهم حقيقة إرادته فربما ظن نفسه مخلصًا وهو مراء بإرادته فكيف يتسنى للعبد أن يفهم حقيقة إرادة الله أو كيفية تعلقها بإرادة العباد وهو لا يفهم حقيقة إرادة نفسه التي بين جنبيه؟.

٧- الأدلة على عدم انتفاء المسؤولية عن الإنسان:

١] أن الإنسان يفعل بإرادته وقدرته هو ولذلك نقول لكل عاص: هل وجدت قوة خارجية عنك تجبرك على المعصية أم أنت بإرادتك فعلت المعصية؟ ولو كان الإنسان مجبرًا لا إرادة له فما الفارق بينه وبين من يحمل حتى يلقى في كنيسة أو حتى يدخل الخمارة رغمًا عنه؟ كل عاقل يدرك الفارق بين حركة اليد بالسرقة وحركة القلب بالنبض، فتبًا للعصاة الذين تبغض أنفسهم الطاعة ويرونها مظلومة وينسبون الظلم إلى أرحم الراحمين.

٢] قدرة الإنسان ومشيئته بمثابة الأب والأم وعمل الإنسان بمثابة الولد فكما أن وجود زوجين مؤثر في وجود الولد فكذلك قدرة الإنسان ومشيئته تؤثران في وجود عمل الإنسان وكما أنه لا يصح أن يتنصل الوالدان من وجود الولد فكذلك لا يصح من العبد أن ينفي مسؤوليته عن المعصية لأنها بإرادته ومشيئته وكما أنه لا بد من إرادة الله لوجود الولد فقد يتزوج الزوجان ولا يولد لهما ولد، فكذلك لا بد من إرادة الله ومشيئته فوق إرادة ومشيئة العبد.

■ **وقال رسول الله ﷺ في الحُمُر: «ما أنزل الله عليّ فيها شيئًا إلا هذه الآية الجامعة الفاذة ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾** [الزلزلة: ٧، ٨](١).

وغير ذلك ما لا يحصى، وقد تقدم منها جملة وافية في إثبات الإرادة والمشيئة والخلق فكما لم يوجد العباد أنفسهم لم يوجدوا أفعالهم، فقدرتهم وإرادتهم ومشيئتهم وأفعالهم تبع لقدرة الله سبحانه وإرادته ومشيئته وأفعاله: إذ هو تعالى خالقهم، وخالق قدرتهم، ومشيئتهم وإرادتهم، وأفعالهم، وليست مشيئتهم وإرادتهم هي عين مشيئة الله تعالى، وإرادته، وقدرته، وفعله، كما ليسوا هم إياه، تعالى الله عن ذلك، بل أفعالهم المخلوقة لله، قائمة بهم لائقة بهم مضافة إليهم حقيقة، وهي من آثار أفعال الله تعالى القائمة به، اللائقة به المضافة إليه حقيقة، فالله فاعل حقيقة، والعبد منفعل حقيقة (قلت بل هو فاعل منفعل حقيقة أي يفعل بإرادته هو ومنفعل لإرادة الله ويقع عليه فعل الرب فإرادة الله ومشيئته هي الموجبة

---

(١) «**متفق عليه**»: والحديث جزء من حديث طويل أخرجه البخاري في كتاب التفسير برقم (٤٦٧٨) ومسلم في الزكاة برقم (٩٨٧٩).

لفعل العبد، وإرادة العبد ومشيئته سبب أو بعض سبب لفعله وإطلاق المصنف أن العبد منفعل لا يصح إذ قد يفهم منه قول الجبرية بإلغاء إرادة العبد ومشيئته)، **والله تعالى هاد حقيقة، والعبد مهتد ولهذا أضاف تعالى كلاً من الفعلين إلى من قام به، فقال عز وجل: ﴿ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ﴾** [الكهف: ١٧] **فإضافة الهداية إلى الله تعالى حقيقة، وإضافة الاهتداء إلى العبد حقيقة، وكما أن الهادي تعالى ليس هو عين المهتدي، فكذلك ليست الهداية هي عين الاهتداء، وكذلك يضل الله تعالى من يشاء حقيقة، وذلك العبد يكون ضالاً حقيقة، وهو سبحانه وتعالى خالق المؤمن وإيمانه، والكافر وكفره، كما قال جل وعلا: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾** [التغابن: ٢] **أي هو خالقكم على هذه الصفة، وأراد منكم ذلك كونًا لا شرعًا، فلا بد من وجود مؤمن وكافر، وهو البصير بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلال وهو شهيد على أعمال عباده وسيجزيهم بها أتم الجزاء؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾** [البقرة: ٢٦٥]، **فأضاف الله تعالى الخلق الذي هو فعله القائم به إليه حقيقة، وأضاف الإيمان والكفر الذي هو عملهم القائم بهم إليهم حقيقة، والله تبارك تعالى هو الذي جعلهم كذلك، وهم فعلوه باختيارهم وقدرتهم ومشيئتهم التي منحهم الله إياها، وخلقها فيهم، وأمرهم ونهاهم بحسبها. والمقصود أن الله سبحانه وتعالى في جميع تصرفاته في عباده فاعل حقيقة والعبد منفعل حقيقة** (قلت بل فاعل منفعل كما قدمنا) **فمن أضاف الفعل والانفعال كليهما إلى المخلوق كفر ومن أضافهما كليهما إلى الله تعالى كفر، ومن أضاف الفعل إلى الله تعالى حقيقة، والانفعال إلى المخلوق حقيقة كما أضافها الله تعالى فهو المؤمن حقيقة** (قلت الصواب أن نقول الفعل والانفعال إلى المخلوق حقيقية كما قدمنا).

فالأول قول القدرية النفاة، وأول من أحدثه في هذه الأمة معبد الجهني في آخر عصر الصحابة كما قدمنا عن يحيى بن يعمر في سياق حديث جبريل السابق في سؤاله النبي ﷺ عن الدين، وأنكر عليه ذلك بقية الصحابة، وأئمة التابعين، وتبرؤوا من هذا الاعتقاد، وكفروا منتحليه ونفوا عنه الإيمان، وأوصى بعضهم بعضًا بمجانبته والفرار من مجالسته. ثم تقلد عنه ذلك المذهب الفاسد والسنة السيئة التي انتحلها هو رؤوس المعتزلة وأئمتهم المضلون كواصل بن عطاء الغزال، وعمرو بن عبيد ومن في معناهم وعلى طريقتهم حتى بالغ بعضهم فأنكر علم الله تعالى، وأنكر كتابة المقادير السابقة، وجعل العباد هم الخالقين

لأفعالهم ؛ ولهذا كانوا هم مجوس هذه الأمة ، فأما واصل بن عطاء فقال فيه أبو الفتح الأزدي : رجل سوء كافر ، قال الذهبي : كان من أجلاد المعتزلة ولد سنة ثمانين بالمدينة ، ومما قيل فيه :

ويجعل البر قمحًا في تصرفه وخالف الراء حتى احتال للشعر
ولم يطق مطرًا في القول يجعله فعاذ بالغيث إشفاقاً من المطر

وكان يتوقف في عدالة أهل الجمل ويقول : إحدى الطائفتين فسقت لا بعينها ، فلو شهدت عندي عائشة ، وعلي ، وطلحة على باقة بقل لم أحكم بشهادتهم . هلك سنة إحدى وثلاثين ومائة .

وأما عمرو بن عبيد فهو ابن ثوبان ويقال : ابن كيسان - التيمي مولاهم أبو عثمان البصري من أبناء فارس ، قال ابن كثير : هو شيخ القدرية والمعتزلة روى الحديث عن الحسن البصري ، وعبيد الله بن أنس ، وأبي العالية ، وأبي قلابة ، وعنه الحمادان ، وسفيان بن عيينة ، والأعمش وكان من أقرانه ، وعبد الوارث بن سعيد ، وهارون بن موسى ، ويحيى القطان ، ويزيد بن زريع ، قال الإمام أحمد : ليس بأهل أن يحدث عنه . وقال علي بن المديني ، ويحيى بن معين : ليس بشيء وزاد ابن معين : وكان رجل سوء وكان من الدهرية الذين يقولون : إنما الناس مثل الزرع . وقال الفلاس : متروك صاحب بدعة كان يحيى القطان يحدثنا عنه ثم تركه . وكان ابن مهدي لا يحدث عنه . وقال أبو حاتم : متروك . وقال النسائي : ليس بثقة . وقال شعبة عن يونس بن عبيد : كان عمرو بن عبيد يكذب في الحديث وقال حماد بن سلمة قال لي حميد : لا تأخذ عنه ؛ فإنه كان يكذب على الحسن البصري . وكذا قال أيوب وعوف ابن عون . وقال أيوب : ما كنت أعد له عقلاً . وقال مطر الوراق : والله لا أصدقه في شيء . وقال ابن المبارك : إنما تركوا حديثه ؛ لأنه كان يدعو إلى القدر ، وقد ضعفه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل ، وأثنى عليه آخرون في عبادته وزهده وتقشفه .

قال الحسن البصري : هذا سيد شباب القراء ما لم يحدث ، فأحدث والله أشد الحدث . وقال ابن حبان كان من أهل الورع والعبادة إلى أن أحدث ما أحدث ، واعتزل مجلس الحسن هو وجماعة معه ، فسموا المعتزلة ، وكان يشتم الصحابة ، ويكذب في الحديث وهما لا تعمدًا . وقد روى عنه أنه قال : إن كانت : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد : ١] في اللوح المحفوظ فما تعد منه على ابن آدم حجة ، وروى له حديث ابن مسعود : حدثنا الصادق المصدوق : «إن

خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يومًا - حتى قال - فيؤمر بأربع كلمات: رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد» إلى آخره، فقال: لو سمعت الأعمش يرويه لكذبته، ولو سمعته من زيد بن وهب لما أحببته، ولو سمعته من ابن مسعود لما قبلته، ولو سمعته من رسول الله ﷺ لرددته، ولو سمعت الله يقول هذا لقلت: ما على هذا أخذت علينا الميثاق، وهذا من أقبح الكفر، لعنه الله إن كان قال هذا، وإذا كان مكذوباً عليه فعلى من كذبه عليه ما يستحقه.

وقد قال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى:

أيها الطالب علمًا	ائت حماد بن زيد
فخذ العلم بحلم	ثم قيده بقيد
وذر البدعة من	آثار عمرو بن عبيد

وقال ابن عدي: كان عمرو يغر الناس بتقشفه، وهو مذموم ضعيف الحديث جداً معلن بالبدع. وقال الدارقطني: ضعيف الحديث، وقال الخطيب البغدادي: جالس الحسن واشتهر بصحبته، ثم أزاله واصل بن عطاء عن مذهب أهل السنة وقال بالقدر، ودعا إليه واعتزل أصحاب الحديث رحمهم الله تعالى.

ثم توارث القدرية هذا المذهب الفاسد بعد هؤلاء وتواصوا به، ثم منهم من نفى علم الله تعالى كأوليهم، ففيهم من نفى علمه بالكليات والجزئيات، ومنهم من أثبت العلم بالكليات دون الجزئيات، ثم افترقوا في أفعال الله كما افترقوا في علمه، ففرقة قالت: كل أفعال العباد ليست مقدورة لله ولا مخلوقة له، لا خيرها ولا شرها.

والأخرى قالت: الخير من أفعالهم مخلوق له تعالى ومقدور له، وأما الشر فليس عندهم مخلوقاً لله ولا مقدوراً له. فأثبتوا نصف القدر، ونفوا نصفه، وأثبتوا خالقين. فهم في الحقيقة مجوس ثنوية، بل أعظم منهم، فإن الثنوية أثبتوا خالقين للكون كله وهؤلاء أثبتوا خالقين لكل فرد من الأفراد ولكل فعل من الأفعال، بل جعلوا المخلوقين كلهم خالقين، ولولا تناقصهم لكانوا أكفر من المجوس، فإن اطراد قولهم ولازمه وحاصله هو إخراج أفعال العباد عن خلق الله عز وجل وملكه، وأنها ليست داخلة في ربوبيته عز وجل، فلا يستعينون به على طاعته ولا ترك معصيته، ولا يعوذون به من شرور أنفسهم ولا سيئات أعمالهم، ولا يستهدونه الصراط المستقيم، فقول: إياك نعبد وإياك نستعين، وقول: لا حول ولا قوة إلا بالله لا معنى له عندهم

وربما استنكروه كما جحدوا قوله تعالى: ﴿مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩] هذا مع إنكارهم علم الله عز وجل وقدرته ومشيئته وإرادته وغير ذلك من صفاته تبارك وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً.

تنبيه:

من القدرية من نفى علم الله تعالى بالكليات والجزئيات ومنهم من أثبت العلم بالكليات دون الجزئيات وافترقوا في أفعال العباد ففرقة قالت كل أفعال العباد ليست مقدورة لله ولا مخلوقة له لا خيرها ولا شرها وفرقة قالت الخير من أفعال العباد مخلوق لله ومقدور له وأما الشر فليس مخلوقاً لله ولا مقدور له فأثبتوا نصف القدر ونفوا نصفه وأثبتوا خالقيه.

(فصل) والقول الثاني: وهو إضافة الفعل والانفعال كليهما إلى الله عز وجل هو قول الجبرية الغلاة الجفاة الذين يقولون: إن العبد مجبور على أفعاله، مقسور عليها كالسعفة يحركها الريح العاصف وكالهاوي من أعلى إلى أسفل وأن تكليف الله سبحانه وتعالى عباده ... الخ - من أمرهم بالطاعات، ونهيهم عن المعاصي - كتكليف الحيوان البهيم بالطيران، وتكليف المقعد بالمشي، وتكليف الأعمى بنقط الكتاب، وأن تعذيبه إياهم على معصيتهم إياه هو تعذيب لهم على فعله لا على أفعالهم، وأن ذلك كتعذيب الطويل لِمَ لَمْ يكن قصيراً، والقصير لِمَ لَمْ يكن طويلاً، والأسود لِمَ لَمْ يكن أبيض، والأبيض لِمَ لَمْ يكن أسود، فسلبوا العبد قدرته واختياره، وأخرجوا عن أفعال الله تعالى وأحكامه حكمها ومصالحها، ونفوا عن الله تعالى حكمته البالغة، وجحدوا حجته الدامغة، وأثبتوا عليه تعالى الحجة لعباده، ونسبوه تعالى إلى الظلم، وطعنوا في عدله وشرعه. فلا قيام عندهم لسوق الجهاد، ولا معنى لإقامة الحدود ولا للثواب والعقاب، بل ولا لإرسال الرسل والكتب إلا التكليف في غير وسع، وتحميل ما لا يطاق، والظلم الذي حرمه الله تعالى على نفسه، وجعله بين عباده محرماً، فأقاموا عذر إبليس اللعين، وعذر فرعون، وهامان وقارون وسائر الأمم العصاة الممقوتين المقبوحين، المغضوب عليهم، المخسوف بهم، المعدة لهم جهنم وساءت مصيراً، وأن غضب الله عليهم، ولعنه، وعقابه إياهم على فعله لا على أفعالهم، بل قالوا: إنه عاقبهم ومقتهم على طاعتهم إياه؛ لأنهم إن كانوا خالفوا شرعه فقد أطاعوا إرادته ومشيئته. هذا معنى إثبات القدر عند هذه الفرقة الإبليسية. وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى كثيراً من عباراتهم التي لا يستطيع المؤمن حكايتها لولا أن الله تعالى حكى في كتابه أقوال الكفار قبحهم الله، فمن ذلك قول بعضهم:

ألقــاه في اليم مكتــوفًـا وقــال لـه إيـاك إيـاك أن تبـــتــل بـالمـاء

وقول آخر قبحه الله:

وضـعــوا اللحم للبــزاة علـى ذروتـي عـــدن

ثـم لامـــوا البـــزاة إذ خلعـــوا عنهـم الرسن

لـو أرادوا صـيـــانتـي ستروا وجهك الحسن اهـ.

وقال بعضهم وقد ذكر له من يخاف إفساده فقال: لي خمس بنات لا أخاف على إفسادهن غيره، وصعد رجل يومًا على سطح دار له، فأشرف على غلام له يفجر بجاريته فنزل وأخذهما ليعاقبهما، فقال الغلام: إن القضاء والقدر لم يدعانا حتى فعلنا ذلك، فقال: لعلمك بالقضاء والقدر أحب إلي من كل شيء أنت حر لوجه الله. ورأى آخر يفجر بامرأته فبادر ليأخذه، فهرب فأقبل يضرب المرأة وهي تقول: القضاء والقدر. فقال: يا عدوة الله، أتزنين وتعتذرين بمثل هذا؟ فقال: أوه تركت السنة وأخذت بمذهب ابن عباس. فتنبه ورمى بالسوط من يده واعتذر إليها وقال: لولاك لضللت. ورأى آخر رجلاً يفجر بامرأته فقال: ما هذا؟ فقالت: هذا قضاء الله وقدره. فقال: الخيرة فيما قضى الله. فلقب بالخيرة فيما قضى الله، وكان إذا دعي به غضب. وقيل لبعض هؤلاء: أليس هو يقول ولا يرضى لعباده الكفر؟ فقال: دعنا من هذا، رضيه وأحبه وأراده، وما أفسدنا غيره. ولقد بالغ بعضهم في ذلك حتى قال: القدر عذر لجميع العصاة، وإنما مثلنا في ذلك كما قيل:

إذا مـــرضنا أتيناكـم نعـــودكم وتـذنبـــون فنأتيكـم فنعـــتـــذر

وبلغ بعض هؤلاء أن عليا مر بقتلى النهروان فقال: بؤسا لكم، لقد ضركم من غركم. فقيل: من غرهم؟ فقال: الشيطان والنفس الأمارة بالسوء والأماني. فقال هذا القائل: كان علي قدريًا، وإلا فالله غرهم وفعل بهم ما فعل وأوردهم تلك الموارد. واجتمع جماعة من هؤلاء يومًا فتذكروا القدر، فجرى ذكر الهدهد وقوله: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ [النمل: ٢٤]، فقال: كان الهدهد قدريًا، أضاف العمل إليهم والتزيين إلى الشيطان وجميع ذلك فعل الله. وسئل بعض هؤلاء عن قول الله تعالى لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، أيمنعه ثم يسأله ما منعه؟ قال: نعم قضى عليه في السر ما منعه في العلانية ولعنه عليه. قال له: فما معنى قوله عز وجل: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ﴾ [النساء: ٣٩]، إذا كان هو الذي منعهم، قال: استهزاء بهم. قال: فما معنى قوله: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن

شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ ﴾ [النساء: ١٤٧]؟ قال: فعل ذلك بهم من غير ذنب جنوه، بل ابتدأهم بالكفر، ثم عذبهم عليه، وليس للآية معنى. وقال بعض هؤلاء وقد عوتب على ارتكابه معاصي الله فقال: إن كنت عاصياً لأمره فأنا مطيع لإرادته. وجرى عند بعض هؤلاء ذكر إبليس وإبائه وامتناعه من السجود لآدم، فأخذ الجماعة يلعنونه ويذمونه، فقال: إلى متى هذا اللوم؟ ولو خلي لسجد، ولكن منع. وأخذ يقيم عذره. فقال بعض الحاضرين: تبًا لك سائر اليوم، أتذب عن الشيطان وتلوم الرحمن؟! وجاء جماعة إلى منزل رجل من هؤلاء فلم يجدوه، فلما رجع قال: كنت أصلح بين قوم. فقيل له: وأصلحت بينهم؟ قال: أصلحت إن لم يفسد الله. فقيل له: بؤساً لك أتحسن الثناء على نفسك وتسيء الثناء على ربك. ومر لص مقطوع اليد على بعض هؤلاء فقال: مسكين مظلوم أجبره على السرقة ثم قطع يده عليها. وقيل لبعضهم: أترى الله كلف عباده ما لا يطيقون، ثم يعذبهم عليه؟ قال: والله قد فعل ذلك، ولكن لا نجسر أن نتكلم. وقال بعض هؤلاء: ذنبة أذنبها أحب إلى من عبادة الملائكة. قيل: ولم؟ قال: لعلمي بأن الله قضاها على وقدرها، ولم يقضها إلا والخيرة لي فيها، وقال بعض هؤلاء: العارف لا ينكر منكراً لاستبصاره بسر الله في القدر. قال وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول: عاتبت بعض شيوخ هؤلاء، فقال لي: المحبة نار تحرق من القلب ما سوى مراد المحبوب، والكون كله مراده، فأي شيء أبغض منه؟ قال: فقلت له: إذا كان المحبوب قد أبغض بعض من في الكون وعاداهم ولعنهم، فأحببتهم أنت وواليتهم، أكنت وليًا للمحبوب، أو عدواً له؟ قال: فكأنما ألقم حجراً. وقرأ قارئ بحضرة بعض هؤلاء: ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص: ٧٥]، فقال: هو والله منعه، ولو قال إبليس ذلك لكان صادقًا، وقد أخطأ إبليس الحجة، ولو كنت حاضراً لقلت له: أنت منعته. وسمع بعض هؤلاء قارئًا يقرأ: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾ [فصلت: ١٧]، فقال: ليس من هذا شيء، بل أضلهم وأعماهم اهـ. إلى أن قال: فيقال: الله أكبر على هؤلاء الملاحدة أعداء الله حقًا الذين ما قدروا الله حق قدره، ولا عرفوه حق معرفته، ولا عظموه حق تعظيمه، ولا نزهوه عما لا يليق به، وبغضوه إلى عباده، وبغضوهم إليه سبحانه، وأساؤوا الثناء عليه جهدهم وطاقتهم، وهؤلاء خصماء الله حقاً الذين جاء فيهم الحديث: «يقال يوم القيامة أين خصماء الله؟ فيؤمر بهم إلى النار»(١).

---

(١) اللفظ الصحيح للحديث: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد ألا ليقم خُصَماء الله وهم القدرية، «ضعيف»، رواه الطبراني في الأوسط (٧١٦٢) وأبو نعيم (٥ / ٨٣) الاثنين من طريق محمد بن الفضل بن عطية وهو متروك، رواه ابن أبي عاصم في السنة برقم (٣٣٦) وضعفه الألباني.



قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في تائيته:

ويدعي خصوم الله يوم معادهم ... إلى النار طرًا فرقة القدرية
سواء نفوه أم سعوا ليخاصموا ... به الله أو ماروا به للشريعة

قال وسمعته يقول: القدرية المذمومون في السنة وعلى لسان السلف هم هؤلاء الفرق الثلاث: نفاته وهم القدرية المجوسية. والمعارضون به للشريعة الذين قالوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]، وهم القدرية المشركون. والمخاصمون به للرب سبحانه، وهم أعداء الله تعالى وخصومه وهم القدرية الإبليسية وشيخهم إبليس وهو أول من احتج على الله بالقدر فقال: ﴿بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر: ٣٩]، ولم يعترف بالذنب ويبوء به كما اعترف به آدم. فمن أقر بالذنب وباء به ونزه ربه فقد أشبه أباه آدم، ومن أشبه أباه فما ظلم. ومن برأ نفسه واحتج على ربه بالقدر فقد أشبه إبليس. ثم ساق كلامًا طويلاً في فرق القدرية وضلالهم إلى أن قال رحمه الله تعالى: فانظر كيف انقسمت هذه المواريث على هذه السهام، وورث كل قوم أئمتهم وأسلافهم إما في جميع تركتهم، وإما في كثير منها، وإما في جزء منها، وهدى الله بفضله ورثة أنبيائه ورسله لميراث نبيهم ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، فلم يؤمنوا ببعض الكتاب ويكفروا ببعض، بل آمنوا بقضاء الله وقدره ومشيئته العامة النافذة، وأنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه مقلب القلوب ومصرفها كيف أراد، وأنه هو الذي جعل المؤمن مؤمناً والمصلي مصليًا والمتقي متقيًا، وجعل أئمة الهدى يهدون بأمره، وأئمة الضلالة يدعون إلى النار، وأنه ألهم كل نفس فجورها وتقواها، وأنه يهدى من يشاء بفضله ورحمته، ويضل من يشاء بعدله وحكمته، وأنه هو الذي وفق أهل الطاعة لطاعته؛ فأطاعوه ولو شاء لخذلهم فعصوه، وأنه تعالى حال بين الكفار وقلوبهم - فإنه تعالى يحول بين المرء وقلبه - فكفروا به، ولو شاء لوفقهم فآمنوا به وأطاعوه، وأنه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأنه لو شاء لآمن من في الأرض كلهم جميعًا إيمانًا يثابون عليه، ويقبل منهم، ويرضى به عنهم، وأنه لو شاء ما اقتتلوا، ولكن الله يفعل ما يريد، ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون.

والقضاء والقدر عندهم أربع مراتب جاء بهم نبيهم ﷺ وأخبر بها عن ربه تعالى:

الأول: علمه السابق بما هم عاملوه قبل إيجادهم.

الثانية: كتابته ذلك في الذكر عنده قبل خلق السموات والأرض.

الثالثة: مشيئته المتناولة لكل موجود، فلا خروج لكائن عن مشيئته كما لا خروج له عن علمه.
الرابعة: خلقه له، وإيجاده، وتكوينه؛ فإنه لا خالق إلا الله، والله خالق كل شيء. فالخالق عندهم واحد، وما سواه فمخلوق، ولا واسطة عندهم بين الخالق والمخلوق. ويؤمنون مع ذلك بحكمته، وأنه حكيم في كل ما فعله وخلقه، وأن مصدر ذلك جميعه عن حكمة تامة هي التي اقتضت صدور ذلك وخلقه، وأن حكمته حكمة حق، عائدة إليه، قائمة به، كسائر صفاته، وليست عبارة عن مطابقة علمه لمعلومه وقدرته لمقدوره كما يقوله نفاة الحكمة الذين يقرون بلفظها دون حقيقتها، بل هي أمر وراء ذلك، وهي الغاية المحبوبة له المطلوبة التي هي متعلق محبته وحمده، ولأجلها خلق فسوى، وقدر فهدى، وأمات وأحيا، وأسعد وأشقى، وأضل وهدى، ومنع وأعطى، وهذه الحكمة هي الغاية والفعل وسيلة إليها، فإثبات الفعل مع نفيها إثبات للوسائل ونفي للغايات وهو محال؛ إذ نفي الغاية مستلزم لنفي الوسيلة، فنفي الوسيلة وهي الفعل لازم لنفي الغاية وهي الحكمة، ونفي قيام الفعل والحكمة به نفي لهما في الحقيقة؛ إذ فعل لا يقوم بفاعله، وحكمة لا تقوم بالحكيم - شيء لا يعقل، وذلك يستلزم إنكار ربوبيته وإلهيته، وهذا لازم لمن نفى ذلك، ولا محيد له عنه وإن أبى التزامه. وأما من أثبت حكمته تعالى وأفعاله على الوجه المطابق للعقل والفطرة ولما جاءت به الرسل لم يلزم من قوله محذور البتة، بل قوله حق، ولازم الحق حق كائنًا ما كان.

والمقصود أن ورثة الرسل وخلفاءهم لكمال ميراثهم لنبيهم آمنوا بالقضاء والقدر، والحكم والغايات المحمودة في أفعال الرب تعالى وأوامره، وقاموا مع ذلك بالأمر والنهي، وصدقوا بالوعد والوعيد؛ فآمنوا بالخلق الذي من تمام الإيمان به إثبات القدر والحكمة، وبالأمر الذي من تمام الإيمان به الإيمان بالوعد والوعيد، وحشر الأجساد، والثواب والعقاب، فصدقوا بالخلق والأمر ولم ينفوهما بنفي لوازمهما كما فعلت القدرية المجوسية والقدرية المعارضة للأمر بالقدر، وكانوا أسعد الناس بالحق وأقربهم عصبة في هذا الميراث النبوي، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم. انتهى ما سقنا من كلامه رحمه الله تعالى. وقد بسط الكلام قبل ذلك وبعده، فشفى وكفى. رحمه الله تعالى.

والمقصود أن الإيمان بالقدر مرتبط بامتثال الشرع، وامتثال الشرع مرتبط بالإيمان بالقدر، وانفكاك أحدهما من الآخر محال.

فإن الإقرار بالقدر مع الاحتجاج به على الشرع ومحاربته به مخاصمة لله تعالى في أمره

وشرعه، ووعده ووعيده، وثوابه وعقابه، وطعن في حكمته وعدله، وانتقاد عليه في إرسال الرسل، وإنزال الكتب، وخلق الجنة لأوليائه المصدقين بها، وخلق النار لأعدائه المكذبين، ونسبة أحكم الحاكمين وأعدل العادلين - الحكيم في خلقه وشرعه، والعدل في قوله وفعله وحكمه - إلى العبث والظلم في ذلك كله.

وكذلك الانقياد في الشرع مع نفي القدر، وإخراج أفعال العباد عن قدرة الباري، وجعلهم مستقلين بها، مستغنين عنه، طعن في ربوبية المعبود وملكوته، ونسبته إلى العجز، ووصفه بما لا يستحق الإلهية ولا يتصف بها مما لا يبدئ ولا يعيد ولا يغني عنك شيئًا، تعالى ربنا وتقدس وتنزه وجل وعلا عما يقول الظالمون الجاحدون الملحدون علواً كبيراً. بل الإيمان بالقدر. خيره، وشره، هو نظام التوحيد، كما أن الإتيان بالأسباب التي توصل إلى خيره وتحجز عن شره واستعانة الله عليها هو نظام الشرع، ولا ينتظم أمر الدين ولا يستقيم إلا لمن آمن بالقدر وامتثل الشرع كما قرر النبي ﷺ الإيمان بالقدر، ثم قال لما قيل له: أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال: «لا، اعملوا، فكل ميسر لما خلق له».

فمن نفى القدر بزعم منافاته للشرع فقد عطل الله تعالى عن علمه، وقدرته، ومعاني ربوبيته، وجعل العبد مستقلاً بأفعاله، خالقاً لها، فأثبت خالقًا آخر مع الله تعالى، بل أثبت أن جميع المخلوقين خالقون، ومن أثبته محتجًا به على الشرع محاربًا له به نافيًا عن العبد قدرته واختياره التي منحه الله تعالى إياها، وأمره ونهاه، وأخبره بحسبها زاعماً أن الله تعالى كلف عباده ما لا يطاق؛ فقد نسب الله تعالى إلى الظلم وإلى العبث، وإلى ما لا يليق به، ورجح حجة إبليس وأثبتها، وأقام عذره، وكان هو إمامه في ذلك؛ إذ يقول ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر: ٣٩].

وأما المؤمنون حقاً فيؤمنون بالقدر: خيره وشره، وأن الله تعالى خالق ذلك كله، لا خالق غيره، ولا رب سواه، وينقادون للشرع: أمره، ونهيه، ويصدقون خبر الكتاب والرسول، ويحكمونه في أنفسهم: سراً وجهراً، وأن الهداية والإضلال بيد الله يهدي من يشاء بفضله ورحمته، ويضل من يشاء بعدله وحكمته، وهو أعلم بمواقع فضله وعدله: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾ [النجم: ٣٠]، وله في ذلك الحكمة البالغة والحجة الدامغة، وأن الثواب والعقاب مترتب على الشرع فعلاً وتركًا لا على القدر، ويعزون أنفسهم بالقدر عند المصائب، ولا يحتجون به على المعاصي والمعايب، فإذا وفقوا لحسنة عرفوا الحق

لأهله فقالوا الحمد لله الذي هدانا سبلنا : ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ [الأعراف : ٤٣]، **ولم يقولوا كما قال الفاجر : ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ﴾** [القصص : ٧٨]، **وإذا اقترفوا سيئة باؤوا بذنبهم، وأقروا به، وقالوا كما قال الأبوان : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾** [الأعراف : ٢٣]، **ولم يحملوا ذنبهم وظلمهم على القدر ويحتجوا به عليه، ولم يقولوا كما قال إبليس لعنه الله : ﴿ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي ﴾ ، وإذا أصابتهم مصيبة رضوا بقضاء الله وقدره، واستسلموا لتصرف ربهم ومالكهم تبارك وتعالى، وقالوا كلمة الصابرين : ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾** [البقرة : ١٥٦]، **ولم يقولوا كما قال الذين كفروا : ﴿ وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾** [آل عمران : ١٥٦].

قلت وأهل السنة كذلك يؤمنون بأن الهداية والإضلال بيد الله يهدي من يشاء فضلاً ويضل من يشاء عدلاً **﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى ﴾** [النجم : ٣٠] وله في ذلك الحكمة البالغة والحجة الدامغة ويعرفون أن الشرع لا يعارض القدر فإذا عصى أحدهم اعترف بخطئه مع إيمانه بأن ذلك مكتوب عليه مقدر وكان لابد من فعله ويعزون أنفسهم بالقدر عند المصائب ولا يحتجون بالقدر على المعاصي إلا بعد التوبة والاعتراف بالخطأ فهم كأبيهم آدم يذنبون ويتوبون ويعترفون لله بالتقصير ثم يحتجون بالقدر على المعصية لئلا ييأسوا أو يقنطوا أما أهل البدع فيحتجون بالقدر على المعاصي قبل التوبة وينفون عن أنفسهم المسؤولية – وهم كذلك يشهدون عند المصائب عدل الله وأن المصائب بسبب ذنوبهم **﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾** [الشورى : ٣٠] بل الكاملون يعدون فعل خلاف الأولى والمكروه والشبهات يعدونها معصية يستحقون عليها العقاب ويتوبون منها فهاهم الأنبياء مع عدم فعلهم للذنوب يستغفرون، وهم كذلك يثبتون لله الحكم العظيمة في تقدير الشر والخير خلافًا لأهل البدعة الذين قالوا : الحكمة هي الإحكام بمعنى وقوع المقدور وفق ما قدره الله فنفوا عن الله صفة من أعظم صفات كماله وهي الحكمة سبحانه وتعالى فأهل السنة يقولون : هو الحكيم يفعل ما يشاء لحكمة ويعترفون بذنوبهم ودعاؤهم « أعوذ بعزتك أن تضلني » وأهل البدع ينفون الحكمة عنه في فعله بل هي عندهم تقديرات محضة بل بعضهم يقول « أخاف منه أن يضيع مجهودي سدّى » وأهل السنة

كذلك يثبتون نفع الأسباب بإذن الله فهم يدعون الله ويعلمون أن الدعاء من القدر، ولا يرد القدر إلا الدعاء، فقدر الله في الدعاء يرد قدر الله الآخر وهم كذلك عند تداويهم يثبتون نفع الدواء ولكن بإذن الله، فربما عافاهم الله بلا دواء وربما لم يعافهم مع أخذهم للدواء، فهم بالجملة يأخذون بالأسباب ويتوكلون على الله ويستعينون به على نفع الأسباب فهم أعلم الناس بالله وبصفاته، فكانوا أقوى الناس لاستعانتهم بالقوي، وكانوا أصبر الناس على البلاء لعلمهم بالرحيم الحليم وكانوا أشد الناس اجتهاداً في الأخذ بالأسباب لعلمهم بتيسير الله لهم.

(فصل) واتفقت جميع الكتب السماوية والسنن النبوية على أن القدر السابق لا يمنع العمل ولا يوجب الإتكال، بل يوجب الجد والاجتهاد والحرص على العمل الصالح؛ ولهذا لما أخبر النبي ﷺ أصحابه بسبق المقادير وجريانها، وجفوف القلم بها، فقيل له: أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال: «لا، اعملوا فكل ميسر» ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-١٠]، كما في الأحاديث التي قدمنا وغيرها. فالله سبحانه وتعالى قدر المقادير، وهيأ لها أسباباً، وهو الحكيم بما نصبه من الأسباب في المعاش والمعاد، وقد يسر كلا من خلقه لما خلقه له في الدنيا والآخرة، فهو مهيأ له ميسر له، فإذا علم العبد أن مصالح آخرته مرتبطة بالأسباب الموصلة إليها كان أشد اجتهاداً في فعلها والقيام بها وأعظم منه في أسباب معاشه ومصالح دنياه من كون الحرث سبباً في وجود الزرع، والنكاح سبباً في وجود النسل، وكذلك العمل الصالح سبب في دخول الجنة، والعمل السيء سبب في دخول النار، وقد فقه هذا كل الفقه من قال من الصحابة لما سمع أحاديث القدر: «ما كنت بأشد اجتهاداً مني الآن» وقال النبي ﷺ في الحديث المتقدم: «احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل» وفي المسند، والترمذي، وابن ماجة من حديث الزهري عن ابن أبي خزامة عن أبيه أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: أرأيت رقى نسترقيها، ودواء نتداوى به، وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئًا؟ قال: «هي من قدر الله» يعني أن الله تبارك وتعالى قدر الخير والشر وأسباب كل منهما.

تنبيه:

قالت الأشاعرة: أحب الله من الكافرين حال كفره من علم أنه سيؤمن وأبغض من المؤمنين حال إيمانه من علم أنه سيكفر وقالوا: أحب عمر حال كفره وهذا منهم بناءً على

زعمهم الفاسد بكون فعل الله لا زمن له وأما أهل السنة فقالوا: كان الله يكره عمر فلما آمن أحبه وهو يحب من هو مؤمن الآن وإن كان يعلم أنه سيكفر بعد إذ أفعال الله لها زمن تقع فيه بل نقول لا يحب الله العبد حتى يلتزم بالسنة حتى وهو مسلم ففي الحديث لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه».

ذكر ما جاء من الأحاديث في ذم القدرية

تقدم في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة أن هذه الآية: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٧-٤٩]، **أنها نزلت في المخاصمين في القدر. وتقدم فيهم أحاديث الصحابة من روايتهم سؤال جبريل عن الدين وغير ذلك من الأحاديث التي سقناها متفرقة في مواضع من هذا المجموع، وقال أبو داود رحمه الله تعالى: حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم قال: حدثني بمنى عن أبيه عن ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال: «القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم»(١).**

ورواه الإمام أحمد عنه بلفظ أن رسول الله ﷺ قال: «لكل أمة مجوس، ومجوس أمتي الذين يقولون: لا قدر، إن مرضوا فلا تعودوهم»(٢).

وفي رواية: «إن لكل أمة مجوساً، وإن مجوس أمتي المكذبون بالقدر».. إلخ(٣).

- القدرية النفاة نوعان:

أ- مكذبون بعلم الله سواء بالكليات والجزئيات أو بأحدهما وبكتابة المقادير وهم كفار نوعًا وعينًا وتنطبق عليهم هذه الأحاديث إذ الكافر لا يصلى عليه ولا يعاد.

ب- مثبوتون لعلم الله وكتابة المقادير وينفون إرادة الله الكونية ومشيئته النافذة في أفعال العباد خيرها وشرها وينفون قدرة الله على أفعال العباد الاختيارية وينفون خلق الله لأفعال العباد ومنهم من ينفي إرادة الله وخلقه للشر فقط ويثبتون إرادة الله وخلقه للخير

---

(١) «حسن»: رواه أبو داود في السنة برقم (٤٦٩١) والحاكم (٢٨٦) والبيهقي (٢٠٦٥٨) وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٤٤٤٢).

(٢) رواه أبو داود برقم (٤٦٩٢) والإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عمر برقم (٥٥٨٤) وحسنه الألباني في ضعيف الجامع برقم (٥١٦٣).

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد (٦٠٧٧) به عمر بن عبد الله مولى عفره ضعف النسائي ويحيى بن معين وقال ابن حبان يغلب الأخبار لا يحتج به وقال ابن حجر ضعيف وكان كثير الإرسال.

وهم المتأخرون من القدرية وهم كفار نوعًا ولا يكفرون بأعيانهم حتى تقام عليهم الحجة ولكن قد يقال أنهم لا يعادون أيضاً عند مرضهم زجرًا لهم ولأمثالهم ويمتنع كبار علماء أهل السنة من الصلاة عليهم تأديبًا لهم ولكن يصلى عليهم بقية الناس.

وله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«سيكون في هذه الأمة مسخ، ألا وذاك في المكذبين بالقدر والزنديقية»**(١).

- الذي يظهر والله أعلم أنه موقوف خاصة وأن لفظ (الزنديقية) لم يكن معروفًا أيام النبي ﷺ فالزنديق هو المنافق الذي أظهر النفاق وطعن في الدين مع إعلانه للإسلام.
- وفي هذا الحديث تهديد بوجود مسخ لمن كذب بالقدر ولعل هذا يحدث في آخر الزمان ويدل على ذلك حديث ابن عمر الآتي قريبًا.

وله عن نافع قال: كان لابن عمر رضي الله عنهما صديق من أهل الشام يكاتبه، فكتب إليه مرة عبد الله بن عمر: إنه بلغني أنك تكلمت في شيء من القدر، فإياك أن تكتب إليَّ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيكون في أمتي أقوام يكذبون بالقدر»(٢).

وللترمذي عن نافع عنه جاءه رجل فقال: **إن فلانًا يقرأ عليك السلام. فقال: إنه بلغني أنه قد أحدث، فإن كان قد أحدث فلا تقرئه مني السلام؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «في هذه الأمة أو في أمتي - الشك منه - خسف أو مسخ، أو قذف في أهل القدر» هذا حديث حسن صحيح غريب**(٣).

وقال أبو داود رحمه الله: أيضًا: حدثنا محمد بن أبي كثير أخبرنا سفيان عن عمر بن محمد عن عمر مولى غفرة عن رجل من الأنصار عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل أمة مجوس، ومجوس هذه الأمة الذين يقولون: لا قدر. من مات منهم فلا تشهدوا جنازته، ومن مرض منهم فلا تعودوهم، وهم شيعة الدجال، وحق على الله أن يلحقهم بالدجال»(٤).

---

(١) رواه الإمام أحمد (٥٨٦٧) وفيه رشدين ضعفه ابن حنبل ويحيى بن معين وقال أبو زرعة: ضعيف الحديث وقال الحفاظ ابن حجر ضعيف وقال الذهبي سيئ الحفظ وكان صالحاً عابداً محدثاً.

(٢) «**حسن**»: رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث نافع أنه قال .. والحديث برقم (٥٧٧٢) ورواه أبو داود برقم (٤٦١٣) والحاكم (٢٨٥) والبيهقي (٢٠٦٧٠) وصححه الألباني (٣٦٦٩) صحيح الجامع.

(٣) «**حسن**»: رواه الترمذي برقم (٢١٥٢) وحسن إسناده الشيخ الألباني في مشكاة المصابيح برقم (١١٦) سبق تخريجه.

(٤) «**ضعيف**»: رواه أبو داود برقم (٤٦٩٢) وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع برقم (٤٧١٢).

وقال رحمه الله تعالى: حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا عبد الله بن يزيد المقري أبو عبدالرحمن قال: حدثني سعيد بن أبي أيوب قال: حدثني عطاء بن دينار عن حكيم ابن شريك الهذلي عن يحيى بن ميمون الحضومي عن ربيعة الجرشي عن أبي هريرة عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ قال: «لا تجالسوا أهل القدر، ولا تفاتحوهم»(١).

وقال رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان عن أبي سنان عن وهب بن خالد الحمصي عن ابن الديلمي قال: أتيت أبي بن كعب فقلت له: وقع في نفسي شيء من القدر؛ فحدثني بشيء لعل الله أن يذهبه من قلبي، فقال: لو أن الله عذب أهل سمواته وأهل أرضه عذبهم وهو غير ظالمهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أحد ذهباً في سبيل الله ما قبله الله منك؛ حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لدخلت النار قال: ثم أتيت عبد الله بن مسعود فقال مثل ذلك، قال: ثم أتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك، قال: ثم أتيت زيد بن ثابت، فحدثني عن النبي ﷺ مثل ذلك. وتقدم ذكر وصية عبادة لابنه في ذلك(٢).

● هذا حديث عظيم القدر والنفع وفيه عدة فوائد:

أ- قوله «فحدثني بشيء لعل الله أن يذهبه من قلبي»: فيه أن السلف كانوا يبحثون في العقيدة ويزيلون الشبه التي تقع في قلوبهم وكانت طريقتهم في إزالتها تعليم السنة ونشر الأحاديث كما فعل الصحابة مع هذا التابعي لا طريقة علم الكلام والفلسفة والجدال.

ب- قوله «ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر»: دليل على حبوط عمل من كذب بالقدر.

ج- قوله «لو أن الله عذب أهل سماواته وأرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم»: يحتمل عدة احتمالات:

١- كل الخلق مقصرون فلو قارن الله بين نعمه وطاعات العباد لهلك الجميع، ولكن في هذا نظراً، إذ العبد مهما أوتي من قوة لا يستطيع توفية الله حقه ومطالبة العبد بما لا يقدر عليه مما لم يرد به الشرع.

---

(١) «**ضعيف**»: رواه أبو داود برقم (٤٧١٠) وضعف الشيخ الألباني في ضعيف الجامع برقم (٦١٩٣).

(٢) «**صحيح**»: رواه أبو داود برقم (٤٦٩٩) وأحمد (٢١٦٢٩) والطبراني (١٠٥٦٤) وصححه الألباني - رحمه الله - في المشكاة (١١٥).

٢- هذا فيمن لا يقصر ثم يرى نفسه غير مقصر فيقال له ما كان ينبغي لك أن تنظر إلي نفسك بعين الرضا والكمال فها هم الملائكة والأنبياء لم يقصروا فيما يقدرون عليه ويرون أنفسهم مقصرين بالنسبة إلى عظم حق الله وفضله ونعمته وهذا أيضاً فيه نظر إذ رؤية النفس بعين الرضا والعجب نقص يستحق صاحبه الذم والعقاب.

٣- معناه لو قدر الله على أهل السماوات والأرض الكفر والفسق لكان غير ظالم لهم بالتعذيب لأنه سيقدر عليهم العصيان بإرادتهم هم ومشيئتهم قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً** ﴾ [الإسراء: ١٦]، فهو لم يعذبهم حتى فسقوا فلو أراد الله أن يعذب أهل السموات والأرض لجعلهم فاسقين فيحق عليهم العذاب وهو غير ظالم لهم.

وقال الترمذي رحمه الله تعالى: حدثنا واصل بن عبد الأعلى أخبرنا محمد بن فضيل عن القاسم بن حبيب وعلي بن نزار عن نزار عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب: المرجئة، والقدرية»(١) هذا حديث حسن غريب.

● كلمة المرجئة لم ترد في حديث صحيح وهم طوائف فإن صح هذا الحديث فالمرجئة ها هنا هم الإباحيون الذين يرون الإيمان مجرد المعرفة أو الإقرار فيزعمون أن الواجب هو الإقرار وإن ترك الالتزام به فالواجب أن يقول القائل الزنى حرام ولا بأس أن يزني وهذا كفرٌ بواح.

وقال رحمه الله تعالى حدثنا محمود بن غيلان أخبرنا أبو داود أنبأنا شعبة عن منصور عن ربعي بن حراش عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله بعثني بالحق، ويؤمن بالموت، ويؤمن بالقدر»(٢).

وقال رحمه الله تعالى: باب ما جاء من التشديد في الخوض في القدر. حدثنا عبد الله بن معاوية الجمحي أنبأنا صالح المري عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتنازع في القدر، فغضب حتى احمر وجهه حتى كأنما فقئ في وجنتيه حب الرمان، فقال: «أبهذا أمرتم، أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمت عليكم ألا تنازعوا فيه»(٣).

---

(١) «ضعيف»: رواه الترمذي برقم (٢١٤٩) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٤٩٨).

(٢) «صحيح»: رواه الترمذي برقم (٢١٤٥) وأحمد (٧٥٨) والحاكم (٩٢) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (٧٥٨٤).

(٣) سبق تخريجه.

ولأحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم والناس يتكلمون في القدر، قال: وكأنما تفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب، قال: فقال لهم: «ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض؟ بهذا هلك من كان قبلكم». قال فما غبطت نفسي بمجلس فيه رسول الله ﷺ لم أشهده بما غبطت نفسي بذلك المجلس أني لم أشهده»، ورواه ابن ماجة(١).

● هذا حديث عظيم بين فيه النبي ﷺ أن النهي عن الخوض في القدر إنما هو لمن عارض الآيات بعضها ببعض وأما من جمع بين الأدلة فلا يدخل تحت هذا النهي.

● والخوض المنهي عنه يشمل عدة احتمالات:

أ- لعلهم تساءلوا لماذا خلق الله هذا للكفر وهذا للإيمان.

ب- لعلهم اقترحوا على الله هلا هدى فلاناً وفلانًا.

جـ- لعلهم تعارض عند بعضهم آيات القدر مع الآيات المثبتة للشرع ولمسؤولية الإنسان وعلى أي احتمال فهذا خوض خاطئ، أما الجمع بين الأدلة مع العلم بعدم قدرة الإنسان المحدود على معرفة كيفية القدر وجمع التسليم التام بأن الله لم يظلم أحدًا أبداً فهي طريقة أهل السنة والجماعة فالقدر علم الله وكتابة الله للمقادير وخلق الله لأفعال العباد وإرادته وقدرته كلها صفات وأفعال لله ونحن لا نعلم كيفية أفعال الله وصفاته وإن علمنا معانيها.

ولأحمد عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: **«لا يدخل الجنة عاق، ولا مدمن خمر، ولا مكذب بقدر»(٢).**

● أما العاق ومدمن الخمر في الحديث فهما المستحلان لا يدخلان الجنة أصلاً ويحتمل أن يكون الحديث إخباراً بأنهما لا يدخلان الجنة أول وهلة طالما أقرا بحرمة العقوق وإدمان الخمر.

● وأما المكذب بالقدر في هذا الحديث فهو الذي أنكره بالكلية أو من أنكر علم الله فهم كفار بأعيانهم أو يكون الحديث في من كفر نوعًا ولكن أقيمت عليه الحجة فإنه بعد إقامة الحجة والإصرار على قوله يكفر بعينه.

وله عن محمد بن عبيد المكي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قيل لابن عباس رضي الله عنهما: إن رجلاً قدم

---

(١) رواه أحمد في المسنده (٥٣٧٨) وابن ماجه بنحو منه (٨٥) قال الألباني: حسن صحيح صحيح ابن ماجه (٦٩).

(٢) «حسن»: رواه أحمد في مسنده برقم (٢٧٥٢٤) وابن عساكر (١٦/ ٣٢) وحسنه الألباني السلسلة الصحيحة (٦٧٥).



علينا يكذب بالقدر، فقال: دلوني عليه، وهو يومئذ قد عمي، قالوا: وما تصنع به يا أبا عباس؟ قال: والذي نفسي بيده، لئن استمكنت منه لأعضن أنفه حتى أقطعه، ولئن وقعت رقبته في يدي لأدقنها؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كأني بنساء بني فهر يطفن بالخزرج تصطفق إلياتهن مشركات هذا أول شرك هذه الأمة، والذي نفسي بيده لينتهين بهم سوء رأيهم حتى يخرجوا الله من أن يكون قدر خيراً كما أخرجوه من أن يكون قدر شراً(١).

وروى البزار عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: ما نزلت هذه الآيات: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٧-٤٩]، إلا في أهل القدر(٢).

ولابن أبي حاتم عن ان زرارة عن أبيه عن النبي ﷺ أنه تلا هذه الآية: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ قال: «نزلت في أناس من أمتي يكونون في آخر الزمان يكذبون بقدر الله»(٣).

● قوله «من أمتي يقصد أنهم كانوا من الأمة ثم خرجوا منها لما كذبوا بالقدر ويحتمل أن يكون الحديث وارداً في متأخري القدرية الذين هم كفار نوعًا لا عيناً.

وروى الحسن بن عرفة عن عطاء بن أبي رباح قال: أتيت ابن عباس وهو ينزع من زمزم، وقد ابتلت أسافل ثيابه، فقلت له: تكلم في القدر. فقال: أو قد فعلوها؟ قلت: نعم. قال: فقلت فوالله، ما نزلت هذه الآية إلا فيهم: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾، أولئك شرار هذه الأمة، فلا تعودوا مرضاهم، ولا تصلوا على موتاهم. إن رأيت أحداً منهم فقأت عينيه بأصبعي هاتين(٤).



---

(١) «ضعيف»: رواه أحمد برقم (٣٠٥٥) واللالكائي وابن أبي عاصم في السنة وضعفه الشيخ الألباني في ظلال الجنة برقم (٧٩).

(٢) أخرجه البيهقي (٢٠٦٦٩) والبزار (٢٤٦٧) وقال الشيخ الألباني اسناده ضعيف فيه متهم ومجهول وفي صحيح مسلم وغيره إن الآية نزلت في المشركين الذين خاصموا النبي في القدر .... أ.هـ بتصرف واختصار من ظلال الحكمة (١/ ١٣٨).

(٣) «صحيح»: رواه الطبراني في المعجم الكبير برقم (٥٣١٦) وابن أبي حاتم وصححه الألباني في الصحيحة برقم (١٥٣٩).

(٤) أخرجه البيهقي في الكبرى (٢٠٦٦٩).

ذكر أقوال الصحابة في هذا الباب

تقدم قول ابن عمر ليحيى بن يعمر، وقول أبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وحذيفة ابن اليمان، وزيد بن ثابت الديلمي، ووصية عبادة بن الصامت لابنه.

وروى عبد الله بن أحمد عن ابن عباس قال: «أول ما خلق الله القلم ثم قال: اكتب، قال: ما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة». وهو دليل قاطع على كون القلم أول مخلوق لقوله «ثم» فالجملة الأولى انتهت وهي كون القلم أول مخلوق ولا يقال هذا من قبل الرأي فله حكم الرفع.

وله عنه فكتب فيما كتب: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾[١] [المسد: ١].

وله عنه قال: أخرج الله ذرية آدم من ظهره مثل الذر فسماهم، قال: هذا فلان وهذا فلان، ثم قبض قبضتين فقال للتي في يمينه: ادخلوا الجنة، وقال للتي في يده الأخرى: ادخلوا النار ولا أبالي[٢].

- هذا أمر كوني يظهر أثره يوم القيامة.

وله عنه قال: إن الرجل ليمشي في الأسواق وإن اسمه لفي الموتى[٣].

وله عنه: ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ﴾ [الرعد: ٣٩]، قال: إلا الشقاوة والسعادة، والحياة والموت[٤].

وله عنه: إن أول ما خلق الله القلم، فأمره أن يكتب ما يريده أن يخلق، فالكتاب عنده، ثم قرأ: ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الزخرف: ٤][٥] وله عن عكرمة قال: سئل

---

(١) صحيح. رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم: ٨٧١، ٨٧٢، وأبو يعلى في «مسنده» رقم: ٢٣٢٩، والحاكم (٢ / ٤٩٨)، وابن جرير في «التفسير» (٢٩ / ١٤)، والبيهقي في «السنن» (٩ / ٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» رقم: ١٠٨، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم: ١٣٣.

(٢) رواه ابن جرير في «التفسير» (٩ / ١١١)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» رقم ٨٧٦، والآجري في «الشريعة» ص: (٢١١)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٣ / ١٤١) إلى ابن أبي حاتم.

(٣) رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم ٨٨٧، وابن جرير في «التفسير» (٢٥ / ١٠٩)، والحاكم (٢ / ٤٤٩)، والبيهقي في «الشعب» رقم: ٣٣٨٨.

(٤) رواه ابن جرير في «التفسير» (١٣ / ١٦٦)، والبيهقي في «الشعب» رقم: ٣٣٩٤، وعبد الله بن أحمد في «السنة» رقم ٨٩٧، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤ / ٦٥) إلى عبد الرزاق، والفريابي، وابن المنذر، وفيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال الحافظ في «التقريب»: صدق سيء الحفظ جداً.

(٥) رواه ابن جرير في «التفسير» (٢٥ / ٤٨)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» رقم: ٨٩٨، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦ / ١٣) إلى ابن أبي حاتم.

ابن عباس كيف تفقد سليمان الهدهد من بين الطير؟ قال: إن سليمان نزل منزلا فلم يدر ما بعد الماء، وكان الهدهد مهندسًا، قال: فأراد أن يسأله عن الماء ففقده. قلت: وكيف يكون مهندسًا، والصبي ينصب له الحبالة فيصيده. قال إذا جاء القدر حال دون البصر(١).

وله عن أبي الزبير أنه كان يطوف مع طاوس بالبيت فمر بمعبد الجهني فقال قائل لطاوس: هذا معبد الجهني الذي يقول في القدر، فعدل إليه طاوس حتى وقف عليه، فقال: أنت المفتري على الله القائل ما لا تعلم؟ قال معبد: يكذب علي. قال أبو الزبير فعدلت مع طاوس حتى دخلنا على ابن عباس، فقال له طاوس: يا أبا عباس، الذين يقولون في القدر. فقال ابن عباس: أرني بعضهم، قال: قلنا: صانع ماذا؟ قال: إذن أجعل يدي في رأسه، ثم أدق عنقه(٢).

وله عنه قال: ليس قوم أبغض إليَّ من القدرية؛ إنهم لا يعلمون قدرة الله، إن الله تعالى يقول: ﴿ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٣](٣).

وله عن طاوس قال: كنت مع ابن عباس في حلقة قال: فذكروا أهل القدر، قال: فقال: أفي الحلقة منهم أحد فآخذ برأسه ثم أقرأ عليه: ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٤]، وأقرأ عليه آية كذا، وآية كذا(٤).

وله عنه وذكر عنده القدرية قال: فقال: لو رأيت أحداً منهم لعضضت أنفه. وله عنه قال: الإيمان بالقدر نظام التوحيد، فمن آمن وكذب بالقدر فهو نقض للتوحيد. وفي لفظ: فمن وحد وكذب بالقدر فقد نقض التوحيد(٥).

وله عن أبي يحيى مولى ابن عفراء قال: أتيت ابن عباس ومعي رجلان من الذين يذكرون

---

(١) رواه ابن جرير في «التفسير» (١٩ / ١٤٤)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» رقم: ٩٠٠، ورواه مختصراً الحاكم (٢ / ٤٠٦)، واللالكائي في «شرح السنة» رقم: ١٢٢٨، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥ / ١٠٤) إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٢) رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم: ٩١١، والآجري في «الشريعة» ص: ٢١٤).

(٣) رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم: ٩١٢، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤ / ٣١٦) إلى سعيد بن منصور، وابن المنذر.

(٤) رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم: ٩٢٣، والحاكم (٢ / ٣٦٠)، والآجري في «الشريعة» ص: (٢١٤).

(٥) ضعيف. رواه الطبراني في «الأوسط» رقم: ٣٥٧٣، عنه مرفوعاً، وفيه هانئ المتوكل، ضعفه الهيثمي في «المجمع» (٧ / ١٩٧)، ورواه عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم: ٩٢٥، والآجري في «الشريعة» ص: (٢١٥)، واللالكائي في «السنة» رقم: ١٢٢٤ عنه موقوفاً، وضعفه الألباني في «تخريج الطحاوية» ص: (٣٠٥) موقوفاً، ومرفوعاً.

القدر أو ينكرونه، فقلت: يا ابن عباس، ما تقول في القدر، لو أن هؤلاء أتوك يسألونك - وقال مرة - يسألونك عن القدر: إن زنا، وإن سرق، أو شرب؟ فحسر قميصه حتى أخرج منكبيه وقال: يا أبا يحيى، لعلك من الذين ينكرون القدر ويكذبون به، والله لو أعلم أنك منهم أو هذين معك لجاهدتهم، إن زنى فبقدر، وإن سرق فبقدر، وإن شرب الخمر فبقدر(١).

وروى إسحق بن الملائي عنه في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، قال: إن الله تعالى أخذ على آدم ميثاقه أنه ربه، وكتب رزقه، وأجله، ومصيباته، ثم أخرج من ظهره ولده كهيئة الذر فأخذ عليهم الميثاق أنه ربهم، وكتب رزقهم، وأجلهم، ومصيباتهم(٢).

وفي تفسير أسباط عن السدي عن أصحابه أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس. وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب النبي ﷺ رضي الله عنهم في قوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ الآية، قال: لما أخرج الله آدم من الجنة قبل أن يهبط من السماء مسح صفحة ظهر آدم اليمنى، فاخرج منه ذرية بيضاء مثل اللؤلؤ كهيئة الذر، فقال لهم: ادخلوا الجنة برحمتي، ومسح صفحة ظهره اليسرى، فأخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر فقال: ادخلوا النار ولا أبالي. فذلك حين يقول أصحاب اليمين، وأصحاب الشمال، ثم أخذ منهم الميثاق؛ فقال: ألست بربكم؟ قالوا: بلى. فأعطاه طائفة طائعين، وطائفة كارهين على وجه التقية، فقال هو والملائكة: ﴿ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ ﴾ [الأعراف: ١٧٢، ١٧٣] الآية؛ فلذلك ليس أحد من ولد آدم إلا وهو يعرف أن الله ربه، ولا مشرك إلا وهو يقول: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٣]، فذلك قوله عز وجل: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾، وذلك حين يقول تعالى: ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ [آل عمران: ٨٣]، وذلك حين يقول: ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤٩]، قال: يعني يوم الميثاق(٣).

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم: ٩٣٧، واللالكائي في «السنة» رقم: ١٢٣٠.

(٢) ينقل تخريجه من المعارج (١ / ٥٦) ويتأكد منه قبل النقل.

(٣) رواه ابن عبد البر في «التمهيد» (١٨ / ٨٥)، ورواه ابن جرير في «التفسير» (٩ / ١١٦) موقوفاً على السدي.

وعن مقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩]، قال: تستنسخ الحفظة من أم الكتاب ما يعمل بنو آدم، فإنما يعمل الإنسان على ما استنسخ الملك من أم الكتاب(١).

● فالملائكة التي تكتب أعمال العباد قسمان:

أ- قسم يكتب أعمال العباد التي يعملها.

ب- قسم ينقل ما كتبه الله في اللوح المحفوظ عن عمل العبد فإذا بالكتابين متطابقان فتظهر قدرة الله وعلمه الواسعان.

وعنه رضي الله عنه قال: كتب في الذكر عنده كل شيء هو كائن، ثم بعث الحفظة على آدم وذريته، ووكل ملائكته ينسخون من الذكر ما يعمل العباد، ثم قرأ ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩](٢).

وفي تفسير الضحاك عنه رضي الله عنه في هذه الآية قال: هي أعمال أهل الدنيا: الحسنات، والسيئات، تنزل من السماء كل غداة وعشية ما يصيب الإنسان في ذلك اليوم أو الليلة، الذي يقتل، والذي يغرق، والذي يقع من فوق بيت، والذي يتردى من جبل، والذي يقع، والذي يحرق بالنار؛ فيحفظون عليه ذلك كله، وإذا كان الشيء صعدوا به إلى السماء فيجدونه كما في السماء مكتوبًا في الذكر الحكيم. وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: خلق الله الخلق قبضتين، فقال لمن في يمينه: ادخلوا الجنة بسلام، وقال لمن في يده الأخرى، ادخلوا النار ولا أبالي(٣).

ولعبد الله بن الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لا يزال أمر هذه الأمة قوامًا، أو مقاربًا، ما لم يتكلموا في القدر(٤).

---

(١) رواه ابن جرير في «التفسير» (٢٥ / ١٥٦)، واللالكائي في «شرح السنة» رقم: ٩٤٤: وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦ / ٣٧) إلى ابن مردويه.

(٢) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦ / ٣٧) إلى ابن مردويه، وأبي نعيم في «الحلية».

(٣) رواه اللالكائي في «السنة» رقم: ١٢٠٤ .

(٤) رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم: ٨٧٠، واللالكائي في «السنة» رقم: ١١٢٧، موقوفاً على ابن عباس، ورواه البزار (كشف الأستار – رقم: ٢١٨٠)، وابن حبان (إحسان – رقم: ٦٧٢٤)، والطبراني في «الكبير» رقم: ١٢٧٦٤، وفي «الأوسط» رقم: ٤٠٨٦، والحاكم (١ / ٣٣)، عنه مرفوعاً، وقال الهيثمي: رجال البزار رجال الصحيح.

وله عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال حين طعن: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ [الأحزاب: ٣٨](١).

وله عن عبد الله بن الحارث الهاشمي قال: خطب عمر بالجابية وفي لفظ: بالشام، والجاثليق ماثل، فتشهد فقال: «من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له» فقال الجاثليق بقميصه هكذا يعني نفضه، وقال: إن الله لا يضل أحداً. فقال: ما يقول؟ فقالوا ما قال. فقال: كذلك عدو الله، الله خلقك، والله أضلك، ثم يميتك؛ فيدخلك النار إن شاء الله، والله لولا عهد لك لضربت عنقك، ثم قال: إن الله خلق آدم فنثر ذريته في يديه، ثم كتب أهل الجنة وما هم عاملون، ثم قال: هؤلاء لهذه، وهؤلاء لهذه. قال فتصدع الناس وما يتنازع في القدر(٢).

وقال علي رضي الله عنه: ما من آدمي إلا ومعه ملك يقيه ما لم يقدر له، فإذا جاء القدر خلاه وإياه(٣).

وله عنه رضي الله عنه قال: وذكر عنده القدر يوماً، فأدخل إصبعيه السبابة والوسطى في فيه. فرقم بهما باطن يديه، فقال: أشهد أن هاتين الرقمتين كانتا في أم الكتاب(٤).

وله عن أسير بن جابر قال: طلبت علياً في منزله فلم أجده، فنظرت فإذا هو في ناحية المسجد. قال: فقلت له - كأنه خوفه - قال: فقال: إنه ليس أحد إلا ومعه ملك يدفع عنه ما لم ينزل القدر. فإذا نزل القدر لم يغن شيئًا(٥).

وله عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما - قال له رجل: إنا نسافر. فنلقى قومًا يقولون: لا قدر - قال: إذا لقيت أولئك، فأخبرهم أن ابن عمر منهم بريء، وهم منه برآء (ثلاث مرات)(٦).

ولعبد الرزاق عن يحيى بن يعمر قال: قلت لابن عمر: إن أناسًا عندنا يقولون: الخير

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم: ٨٩٢.

(٢) رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم: ٩٢٩، والآجري في «الشريعة» ص: (٢٠٠)، واللالكائي في «السنة» رقم: ١١٩٧.

(٣) رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم: ٨٧٤، ٨٧٧، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤ / ٤٨) إلى ابن المنذر، وأبي الشيخ، ورواه بنحوه ابن جرير في «التفسير» (١٣ / ١١٩) عن أبي أمامة.

(٤) رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم: ٩٥٥، والآجري في «الشريعة» ص: (٢٠٢)، واللالكائي في «السنة» رقم: ١٢١٣.

(٥) سبق تخريجه قبل هذا بحديث.

(٦) رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم: ٩٢١، واللالكائي في «السنة» رقم: ١٢٣١، بهذا اللفظ، وسبق تخريج أصل هذه القصة ضمن حديث جبريل المشهور.

والشر بقدر. وناس عندنا يقولون: الخير بقدر، والشر ليس بقدر. فقال ابن عمر: إذا رجعت إليهم فقل لهم: إن ابن عمر يقول: إنه منكم بريء، وأنتم منه برآء(١).

ولعبد الله بن أحمد رضي الله عنه قال: من زعم أن مع الله بارئًا، أو قاضيًا أو رازقًا أو يملك لنفسه ضرًا، أو نفعًا، أو موتًا، أو حياة، أو نشورًا، بعثه الله يوم القيامة فأخرسه، وأعمى بصره، وجعل عمله هباء منثورًا، وقطع به الأسباب، وكبه على وجهه في النار(٢).

وله عن نافع قال: قيل لابن عمر: إن قومًا يقولون لا قدر. فقال: أولئك القدريون. أولئك مجوس هذه الأمة(٣).

وله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: مضت الكتب، وجفت الأقلام: فشقي، أو سعيد، فريق في الجنة، وفريق في السعير(٤).

وله عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: رفع الكتاب، وجفت الأقلام، وأمور تقضى في كتاب قد خلا. وفي رواية: قضى القضاء، وجف القلم، وأمور تكفي في كتاب قد خلا(٥).

وله عنه رضي الله عنه قال: سيكون ناس يصدقون بقدر، ويكذبون بقدر، فليعنهم أبو هريرة عند قوله هذا(٦).

- أي يصدقون بتقدير الله للخير وينكرون تقديره للشر.

وله عن عمار مولى بني هاشم قال: سألت أبا هريرة عن القدر، فقال: اكتف بآخر سورة الفتح(٧).

- يقصد أن الله ذكر أعمال أمة الرسول ﷺ قبل وجودهم بقرون طويلة فدل على أن الله علم ذلك وكتب.

---

(١) رواه عبد الرزاق رقم: ٢٠٠٧٢، وسبق تخريج أصل هذه القصة ضمن حديث جبريل المشهور.

(٢) رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم: ٩٥٧، واللالكائي في «السنة» رقم: ١٢٩٢ .

(٣) رواه اللالكائي في «السنة» رقم: ١٢٩٢، وهو جزء من الحديث السابق، وروى هذا الجزء من الحديث عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم: ٩٥٨ .

(٤) رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم: ٨٧٨ .

(٥) رواه الطبراني في «الكبير» رقم: ٢٦٨٤، وعبد الله بن أحمد في «السنة» رقم: ٨٧٥، واللالكائي في «السنة» رقم: ١٢٣٤، والآجري في «الشريعة» ص: ٢٤٨ .

(٦) رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم: ٩٢٠، عن أبي هريرة موقوفاً، ورواه الطبراني في «الأوسط» رقم: ٣١١٤، عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «لعن الله أهل القدر الذين يكذبون بقدر» - الحديث، وفي إسناد الطبراني: عبد الله بن لهيعة.

(٧) رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم: ٩٣٠، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦ / ٨٣) إلى ابن المنذر، وأبي عبيد.

وله عن أبي الحجاج الأزدي عن سليمان قال: لقيته بماء سبذان قال: فقلت له: أخبرني كيف الإيمان بالقدر؟ قال: أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولا تقل: لو كان كذا لكان كذا، ولو نفعل كذا لكان كذا(١).

وروى عبد الرزاق عن معمر قال: قال عمرو بن العاص لأبي موسى الأشعري: وددت أني وجدت من أخاصم إليه ربي. فقال أبو موسى: أنا. فقال عمرو بن العاص: أيقدر علي شيئاً يعذبني عليه؟ فقال أبو موسى: نعم، قال: لِمَ؟ لأنه لا يظلمك. فقال عمرو: صدقت(٢).

وله عن ابن الديلمي سألت عبد الله بن عمرو عن: «جف القلم» فقال: إن الله حين خلق الخلق ألقى عليهم من نوره، فمن أصابه شيء منه اهتدي(٣).

وكلام الصحابة في هذا الباب يطول ذكره، وقد جمعت فيه التصانيف الكثيرة.



---

(١) رواه عبد الرزاق في «المصنف» رقم: ٢٠٠٨٣، وعبد الله بن أحمد في «السنة» رقم: ٩٢٣، والآجري في «الشريعة» ص: (٢٠٦)، واللالكائي في «السنة» رقم: ١٢٤٠.

(٢) رواه عبد الرزاق في «المصنف» رقم: ٢٠٠٩٧، وعبد الله بن أحمد في «السنة» رقم: ٩٢٧.

(٣) رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم: ٩٣٢، وقد سبق تخريجه (٤ / ٢١) مرفوعاً.

ذكر أقوال التابعين

قال عبيد بن عمير: إنكم مكتوبون عند الله بأسمائكم، وسيماكم، ونجواكم، وحلاكم، ومجالسكم.

وقال سعيد بن جبير: ﴿يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الأنفال: ٢٤]، قال: يحول بين المؤمن والكفر، وبين الكافر والإيمان.

● قلت وهذا من أكبر الأدلة على خلق الله لأفعال العباد، وعلى أن العباد يفعلون بإرادتهم ما يريده الله منهم.

وقال رحمه الله تعالى فذكر قصة بخت نصر وملك ابنه، فرأى كفًا فُرِجَتْ بين لوحين، ثم كتبت سطرين. فدعا الكهان والعلماء فلم يجد عندهم منه علمًا، فقالت له أمه: إنك لو أعدت لدانيال منزلته التي كانت له من أبيك - وكان قد جفاه - أخبرك. فدعاه، فقال: إني معيد لك منزلتك من أبي، فأخبرنا ما هذان السطران؟ قال: أما ما ذكرت أنك معيد لي منزلتي من أبيك، فلا حاجة لي بذلك. وأما هذان السطران: فإنك تقتل الليلة. فأخرج من في القصر أجمعين، وأمر بقفلة جلاد فقفلت بها الأبواب عليه، وأدخل معه آمن أهل القرية في نفسه، معه سيف، وقال له: من جاء من خلق الله فاقتله وإن قال: أنا فلان، وبعث الله عليه البطن فيجعل يمشي والآخر مستيقظ، حتى إذا كان على شطر الليل رقد ورقد صاحبه، ثم نبهه البطن، فذهب يمشي والآخر راقد، فرجع فاستيقظ فقال: أنا فلان، وضربه بالسيف فقلته.

● وهذه القصة من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب ولكن تروى للعظة.

وقال ابن المسيب: ما قدر الله فهو قدر. وكان إياس بن معاوية يقول: أعلم الناس بالقدر ضعفاؤهم، يقول: إن كل من لم يدخل في خصومة القدر كان من قوله إذا تكلم: كان من قدر الله كذا وكذا. وقال معمر: إن ابن شبرمة كان يغضب إذا قيل له: مد الله في عمرك، يقول: إن العمر لا يزاد فيه ولا ينقص، وقال أبو حازم: قال الله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٨]، قال: فالفاجرة: ألهمها الله الفجور، والتقية: ألهمها الله التقوى. وقال مجاهد: قول الله: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، قال: علم من إبليس المعصية، وخلقه لها.

وعن إبراهيم بن أبي عبلة قال: وقف رجاء بن حيوة على مكحول وأنا معه فقال: يا مكحول، بلغني أنك تكلمت في شيء من القدر. والله لو أعلم ذلك لكنت صاحبك من بين



الناس. فقال مكحول: لا والله، أصلحك الله، ما ذاك من شأني، ولا من قولي أو نحو ذلك.
وقال إبراهيم النخعي: إن آفة كل دين كان قبلكم - أو قال: آفة كل دين القدر وصدق والله إذ هلاك وكفر كثير من الأمم بسبب تكذيبهم للقدر، ومما يذكر في التاريخ أن سبب تكذيب كارل ماركس بوجود الله وبالدين بالكلية هي قضية القدر حيث امتنع عليه فَهْمُ الجمع بين أن مقتضى الربوبية شمول قدرة الله لأفعال العباد الاختيارية وهو الإيمان بالقدر وبين تكليفهم بالشرع فأنكر الربوبية جملة. وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير: لم يوكل في القرآن إلى القدر، وأخبرنا: أنا إليه نصير.

● أي أمرنا الله بالعمل ولم نؤمر بالتواكل على القدر وترك العمل.

وكان طاوس بمكة يصلي ورجلان خلفه يتجادلان في القدر، فأنصرف إليهما، فقال: يرحمكما الله، تجادلان في حكم الله؟ وقال ميمون: لا تسبوا أصحاب النبي ﷺ، ولا تعلموا النجوم، ولا تجادلوا أهل القدر.

وقال طاوس أيضًا: أدركت ناسًا من أصحاب النبي ﷺ يقولون: كل شيء بقدر.

وقال أبو حازم: لعن الله دينًا أنا أكبر منه - يعني التكذيب بالقدر - يقول هذا عندما يروي حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن المرء حتى يؤمن بالقدر: خيره، وشره». وعن عمرو بن محمد قال: كنت عند سالم بن عبد الله، فجاءه رجل، فقال: الزنى بقدر؟ فقال: نعم. قال: كتبه علي؟ قال: نعم. قال: ويعذبني عليه؟ قال: فأخذ له الحصى. والمعني أن الرجل يديه أن يعترض على الله كيف قدر عليه الضلال ثم يعذبه، وجهل أنه بإرادته ومشيئته يفعل المعاصي وعلى أساسهما «قدرته ومشيئته» يحاسبه الله، وقال الحسن: من كذب بالقدر فقد كذب بالقرآن.

وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٣]، قال: أعمال لابد لهم من أن يعملوها. وعن أبي صالح: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩] وأنا قدرتها عليك. وقال حميد: قدم الحسن مكة، فقال لي فقهاء مكة - الحسن مسلم. وعبد الله بن عبيد - لو كلمت الحسن فأخلانا يومًا. فكلمت الحسن فقلت: يا أبا سعيد، إخوانك يحبون أن تجلس لهم يومًا. قال: نعم ونعمت عين، فواعدهم يومًا فجاؤوا واجتمعوا، وتكلم الحسن وما رأيته قبل ذلك اليوم ولا بعده أبلغ منه ذلك اليوم، فسألوه عن صحيفة طويلة فلم يخطئ فيها شيئًا إلا في مسألة.

فقال له رجل: يا أبا سعيد، من خلق الشيطان؟ قال: سبحان الله! سبحان الله» وهل خالق غير الله؟ ثم قال: إن الله تعالى خلق الشيطان، وخلق الشر، وخلق الخير. فقال رجل منهم: قاتلهم الله! يكذبون على الشيخ.

● وهذا زعم قديم حيث كذبوا على الحسن واتهموا بأنه كان قدريًا بل ألف بعض المعتزلة في عصرنا كتابه عن عقيدتهم وحشاه بأقوال مكذوبة علي الحسن توافق عقيدتهم وسماه «من تراث العقلانية الإسلامية»، والحسن من أئمة أهل السنة بحمد الله لا يضره ما قيل فيه من أهل البدع.

وقال أيضًا: قرأت على الحسن في بيت أبي خليفة القرآن أجمع من أوله إلى أخره، وكان يفسره على الإثبات.

وقال خالد الحذاء: قلت للحسن: أرأيت آدم، أللجنة خلق أم للأرض؟ قال: للأرض. قال: قلت: أرأيت لو اعتصم؟ قال: لم يكن بد من أن يأتي على الخطيئة. وقال إياس بن معاوية: ما كلمت أحدًا من أهل الأهواء بعقلي كله إلا القدرية؛ فإني قلت لهم: ما الظلم فيكم؟ فقالوا: أن يأخذ الإنسان ما ليس له. فقلت لهم: فإن الله على كل شيء قدير.

ولعبد الرزاق عن معمر قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدى بن أرطأة: «أما بعد، فإن استعمالك سعد بن مسعود على عمان كان من الخطايا التي قدر الله عليك وقدر أن تبتلى بها».

ولعبد الله بن أحمد عنه رضي الله عنه. قال: لو أراد الله أن لا يُعصى لم يخلق إبليس. ثم قرأ: ﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ (١٦١) مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ (١٦٢) إِلاَّ مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴾ [الصافات: ١٦٢، ١٦٣].

وله عنه رضي الله عنه قال لغيلان: ألست تقر بالعلم؟ قال: بلى، وله عن أبي جعفر الخطمي قال: شهدت عمر بن عبد العزيز وقد دعا غيلان لشيء بلغه في القدر، فقال: ويحك يا غيلان! ما هذا الذي بلغني عنك؟ قال: يكذب عليَّ يا أمير المؤمنين، ويقال على ما لم أقل. قال: ما تقول في العلم؟ قال: قد نفذ العلم. قال: فأنت مخصوم. اذهب الآن فقل ما شئت. ويحك يا غيلان! إنك إن أقررت بالعلم خصمت، وإن جحدته كفرت. وإنك أن تقر به فتخصم، خير لك من أن تجحده فتكفر. قال: ثم قال له: تقرأ يس؟ فقال: نعم. فقال له اقرأ: ﴿ يس (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴾ فقرأ: ﴿ يس (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴾ إلى قوله: ﴿ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يس: ١-٧]**، قال: قف، كيف ترى؟ قال: كأني لم اقرأ**

هذه الآية يا أمير المؤمنين. (فأهل البدع لا يتدبرون القرآن) قال: زد. قال: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ⑧ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا ﴾ [يس: ٨، ٩]، قال له عمر: قل: قال سداً فأغشيناهم قال له عمر قل: ﴿ فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ ⑨ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يس: ٩، ١٠]، قال: كيف ترى؟ قال: كأني لم أقرأ هذه الآيات، وإني أعاهد الله أن لا أتكلم في شيء مما كنت أتكلم فيه أبداً. قال: اذهب. فلما ولى قال: اللهم، إن كان كاذبًا فيما قال فأذقه حر السلاح. قال: فلم يتكلم زمن عمر، فلما كان زمن يزيد بن عبد الملك جاء رجل لا يهتم لهذا ولا ينظر فيه، قال: فتكلم غيلان، فلما ولى هشام أرسل إليه فقال: أليس قد عاهدت الله تعالى لعمر أن لا تتكلم في شيء من هذا الأمر أبداً؟ قال: أقلني، فلا والله أعود. لا أقالني الله إن أقلتك، هل تقرأ فاتحة الكتاب؟ قال: نعم. قال: اقرأها. فقرأ: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ② الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ③ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ④ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٢-٥]، قال: قف علام تستعينه؟ أعلى أمر بيده لا تستطيعه إلا به، أو على أمر في يدك أو بيدك؟ اذهبا به، فاقطعا يديه ورجليه، واضربوا عنقه واصلبوه. قال ابن عون: أنا رأيت غيلان مصلوبًا على باب دمشق.

وعنه قال في أصحاب القدر: فإن تابوا وإلا نفوا من دار المسلمين، قلت وهذا في من كفر نوعًا لا عينًا، أما من كفر بعينه فهو يقتل على الردة.

وقال مالك عن عمه سهل قال: كنت مع عمر بن عبد العزيز فقال لي: ما ترى في هؤلاء القدرية؟ قال: قلت: أرى أن تستتيبهم، فإن قبلوا، وإلا عرضتهم على السيف. فقال عمر بن عبد العزيز: ذلك رأيي. قلت: أسألك فما رأيك أنت؟ قال: هو رأيي. القائل لمالك فما رأيك؟ هو إسحق بن عيسى.

وكان نافع مولى ابن عمر يقول لأمير كان على المدينة: أصلحك الله، اضرب أعناقهم، يعني: القدرية.

وقال ابن سيرين: إن لم يكن أهل القدر من الذي يخوضون في آيات الله فلا أدرى من هم.

وقال مجاهد: لا يكون مجوسية حتى يكون قدرية، ثم تزندقوا، ثم تمجسوا.

وقال منصور بن عبد الرحمن: سألت الحسن عن قوله تعالى: ﴿ وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ⑪⑧ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]، فقال: الناس مختلفون على أديان شتى إلا من

رحم ربك، ومن رحم غير مختلف فيه، فلقنته: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٩] قال: نعم، خلق هؤلاء لجنته، وخلق هؤلاء لناره، وخلق هؤلاء لرحمته، وهؤلاء لعذابه.

وقال أيضًا: قلت للحسن: قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾ [الحديد: ٢٢]، قال: قسمة الله، ومن يشك في هذا؟ كل مصيبة بين السماء والأرض ففي كتاب الله قبل أن تبرأ النسمة.

وقال محمد بن كعب القرظي: نزلت هذه الآية: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٨-٤٩]، في أهل القدر. وفي رواية عنه قال: نزلت تعييراً لأهل القدر.

وعنه أن الفضل الرقاشي قعد إليه فذاكره شيئًا من القدر، فقال له محمد بن كعب القرظي، تشهده. فلما بلغ (من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له) رفع محمد عصا معه فضرب بها رأسه وقال: لا يرجع هذا عن رأيه أبداً.

وقال مطر رحمه الله: لقيني عمرو بن عبيد فقال: والله، إني وإياك لعلى أمر واحد. قال: وكذب والله: إنما عنى على الأرض. وقال: والله ما أصدقه في شيء. وعن ثابت البناني قال: رأيت عمرو بن عبيد وهو يحك المصحف، فقلت: ما تصنع؟ فقال: أثبت مكانه خيراً منه. وعن حماد بن زيد قال: كنت مع أيوب ويونس وابن عون وغيرهم، فمر بهم عمرو بن عبيد، فسلم عليهم، ووقف وقفته، فما ردوا عليه السلام، ثم جاز فما ذكروه.

وعن الحسن بن شقيق قال: قلت: لعبد الله يعني: ابن المبارك: سمعت من عمرو بن عبيد؟ قال هكذا بيده، أي كثيراً. قلت: فلم لا تسميه وأنت تسمي غيره من القدرية؟ قال: لأن هذا كان رأساً. وعن معاذ بن مكرم قال: رآني ابن عون مع عمرو بن عبيد في السوق فأعرض عني، قال: فاعتذرت إليه، قال: أما إني قد رأيتك فما زادني. وعن أبي بحر البكراوي قال: قال رجل لعمرو - يعني ابن عبيد - وقرأ عنده هذه الآية: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١،٢٢]، فقال له: أخبرني عن: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١]، كانت في اللوح المحفوظ؟ قال: ليست هكذا كانت. قالوا: وكيف كانت؟ قال: كانت تبت يدا من عمل بمثل ما عمل أبو لهب، فقال له الرجل: وهكذا ينبغي لنا أن نقرأ إذا قمنا إلى الصلاة؟ فغضب عمرو. فتركه حتى سكن، ثم قال له: يا أبا عثمان أخبرني عن تبت يدا أبي لهب كانت في اللوح المحفوظ؟ فقال: ليس هكذا كانت. قال: فكيف كانت؟ قال:

تبت يدا من عمل بمثل عمل أبي لهب، قال فرددت عليه، قال عمرو: إن علم الله ليس بسلطان، إن علم الله لا يضر ولا ينفع.

● يعني أن الله قد علم أعمال العباد ولا تؤثر إرادته ومشيئته على إرادة العباد ومشيئتهم وهو بعينه معنى مثال المدرس الذي رددنا عليه من قبل.

قلت: إن كان قال هذا ومات عليه؛ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وإن كان ذلك مكذوبًا عليه؛ فلعنة الله على الكاذبين.

● عمرو هذا كان قدريًا ولم يزل أئمة السلف يذمونه وقد نسبت إليه أقوال كفرية، الله أعلم بثبوتها عنه ولكنه ما نجزم به أنه كان قدريًا وأن أقواله الثابتة عنه كفر نوع.

وعن سلام بن أبي مطيع قال: كنت أمشي مع أيوب في جنازة وبين أيدينا ثلاثة رهط قد كانوا مع عمرو بن عبيد في الاعتزال ثم تركوا رأيه ذلك وفارقوه، قال: فقال لي أيوب من غير أن أسأله: لا ترجع قلوبهم إلى ما كانت عليه.

● أي أن آثار البدعة تبقى في قلوبهم، قلت ولكن من تاب وصدق في توبته هداه الله بالكلية.

وعن أبي رجاء قال: رأيت رجلين يتكلمان في المربد في القدر، فقال فضل الرقاشي لصاحبه: لا تقر له بالعلم، إن أقررت له بالعلم فأمكنت من نفسك، يسحبك عرض المربد.

وعن حوثرة بن أشرس قال: سمعت سلامًا أبا المنذر غير مرة وهو يقول: سلوهم عن العلم، هل علم أو لم يعلم؟ فإن قالوا: قد علم فليس في أيديهم شيء، وإن قالوا: لم يعلم فقد حلت دماؤهم. قال حوثرة: وحدثنا حماد بن سلمة عن أبي جعفر الخطمي قال: قيل لعمر بن عبد العزيز: إن غيلان يقول: القدر كذا وكذا، قال: فمر به فقال: أخبرني عن العلم، قال: سبحان الله! فقد علم الله كل نفس ما هي عاملة وإلى ما هي صائرة. فقال عمر بن عبد العزيز: والذي نفسي بيده، لو قلت غير هذا لضربت عنقك، اذهب الآن فجاهد جهدك.

وعن معاذ بن معاذ قال: صليت خلف رجل من بني سعد، ثم بلغني أنه قدري، فأعدت الصلاة بعد أربعين سنة أو ثلاثين سنة وهذا محمول على الاحتياط أو هو في من كفر بعينه.

وقال إبراهيم بن طهمان: الجهمية كفار، والقدرية كفار (*أي نوعًا لا عينًا أو لعله يقصد من أنكر المعلوم من الدين بالضرورة كإنكار علم الله أو إنكار صريح القرآن كمن قال: لا يعلم الله شيئًا وغيرها من أقوال الكفر*).

وقال عمرو بن دينار قال لنا طاوس: أخزوا معبد الجهني؛ فإنه قدري.

وقال الحسن بن محمد بن علي : لا تجالسوا أهل القدر .

وقال عكرمة بن عمار : سمعت القاسم بن محمد ، وسالم بن عبد الله يلعنان القدرية . الذين يكذبون بقدر الله حتى يؤمنوا بخيره وشره .

وقال مرحوم بن عبد العزيز العطار : سمعت أبي وعمي يقولان : سمعنا الحسن – وهو ينهى عن مجالسة معبد الجهني – يقول : لا تجالسوا معبداً ؛ فإنه ضال مضل .

قال مرحوم : قال أبي : ولا أعلم أحداً يومئذ يتكلم في القدر غير معبد ، ورجل من الأساورة يقال له : سسويه

وقال عكرمة : سألت يحيى بن أبي كثير عن القدرية فقال : هم الذين يقولون : إن الله لم يقدر الشر .

وقال مسلم بن يسار : إن معبداً يقول بقول النصارى (أي يقول بوجود خالق غير الله وذلك بنفيه لخلق الله لأفعال العباد) .

وقال عمارة بن زاذان : بلغني أن القدرية يحشرون يوم القيامة مع المشركين ، فيقولون : والله ما كنا مشركين . فيقال لهم : إنكم أشركتم من حيث لا تعلمون .

قال : وبلغني أنه يقال لهم يوم القيامة : أنتم خصماء الله عز وجل .

وقال عبد الله بن أحمد : سمعت أبي يقول : لا يصلى خلف القدرية والمعتزلة والجهمية . وسألت أبي مرة أخرى عن الصلاة خلف القدري ، فقال : إن كان يخاصم فيه ، أو يدعو إليه ؛ فلا يصلى خلفه . سمعت أبي ، وسأله على بن الجهم عمن قال بالقدر ، يكون كافراً ؟ قال : إذا جحد العلم ، إذا قال : إن الله لم يكن عالمًا حتى خلق علماً فعلم ، فجحد علم الله ؛ فهو كافر اهـ. من كتاب السنة .

وكلام الصحابة والتابعين وسائر الأئمة من القرون الثلاثة المفضلة يطول ذكره ، ومحله كتب النقل الجامعة ، وفيما ذكرنا كفاية ، ولله الحمد والمنة . اللهم ، يا ربنا ، ومليكنا ، وإلهنا ، قد علمت من سعد بطاعتك والجنة ، ومن شقي بمعصيتك والنار ، وكتبت ذلك وسطرته وقدرته ، وقضيته وشملت الجميع قدرتك ، ونفذت فيه مشيئتك ، ولك الحكمة البالغة ، والحجة الدامغة ، ولا يدري عبدك في أي القسمين ، ولا في أي القبضتين هو : وأنت تعلم .

اللهم ، إياك نعبد ، إيمانًا بكتبك ، وتصديقًا لرسلك ، وانقياداً لشرعك ، وقياماً بأمرك ودينك ، وإياك نستعين إيمانًا بربوبيتك ، واستسلامًا لقضائك وقدرك ، وافتقاراً إليك ،



وتوحيداً لك في إلهيتك وربوبيتك، وأسمائك وصفاتك، وخلقك وتكوينك. ولا مشيئة إلا أن تشاء، ولا قدرة لنا إلا على ما أقدرتنا عليه، ولا معصوم إلا من عصمت، ولا حول ولا قوة إلا بك.

اللهم، اجعلنا ممن أعطى واتقى، وصدق بالحسنى فيسرته لليسرى، اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا، غير المغضوب عليهم ممن علم الحق وكتمه وتركه؛ وأباه واشترى بآياتك ثمناً قليلاً، ولا الضالين الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

اللهم، يا من يحول بين المرء وقلبه، حل بيننا وبين معصيتك والكفر، يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك حتى نلقاك به، ﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨].



فوائد الإيمان بالقضاء والقدر:

١- الاطمئنان بالله وعدم الجزع إذ قد كتب كل شيء فلابد من حدوث ما كتبه فلا يجزع العبد إذ اختيار الله له خير من اختياره هو لنفسه، والله رحيم حليم.

٢- التوكل على الله وحده وعدم المبالاة بالناس كلهم فلو اجتمعوا على ضره أو نفعه ولم يرد الله ذلك فلن يستطيعوا.

٣- عدم السخط على ما قدره الله من أمور الدنيا فإن ذلك يفتح عمل الشيطان.

٤- الإيمان بحكمة الله الباهرة حيث ما خلق شيئًا إلا لحكمة حتى ما يبدو فيه شر فإنه يترتب عليه خير عظيم.

٥- الإيمان بعلم الله الشامل حيث وجه كل صنف لما يصلح له «والله عليم بالظالمين» «والله عليم بالمتقين».

٦- الثقة في اختيار الله لعبده وعدم الحزن على فقد ولد أو زوج أو حبيب فهذا الغلام الذي قتله الخضر لو عاش لكفر ولأرهق أبويه طغيانًا وكفرًا فلا تحزن على فقد حبيبك فربما لو عاش حبيبك لجرك إلى المعصية.

٧- السعي بكل مستطاع في أسباب الهداية، وترك المستطاع من أسباب الغواية إذ كل ميسر لما خلق له فمن سعى في الخير فتح له ومن سعى في الشر فتح له.

٨- الخوف الشديد من سوء الخاتمة إذ هي مغيبة والنفوس تستحق كل سوء والرب أهل لكل خير.

٩- عدم العجب بالعمل الصالح إذ هو منة من الله وتوفيق منه أصلا.

١٠- عدم الأمن من مكر الله ومداومة لوم النفس ومعاتبتها إذ فيها من الآفات والخفايا ما لا يعلمه إلا الله.

١١- دوام اللجوء إلى الله والتضرع إليه بالتوفيق لكل طاعة إذ المسلم يحتاج إلى فضل الله في كل نفس وفي الحديث **«ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً»**(١٤٣).

١٢- التفريق بين المحبة والإرادة فليس كل ما أراده الله أحبه وليس كل ما أحبه أوجده فقد شرع لعباده ما يحب ولكن جعلهم يتصرفون بإرادتهم فمنهم من يطيع ومنهم من لا يطيع.

١٣- الإيمان بعظمة الله إذ جبر العباد على مراده بإرادتهم هم فسبحانه لا يظلم أحداً.

١٤- الاقتناع التام بعدم ظلم الله لأحد فالإنسان يفعل بإرادته ومشيئته هو نعم هي تابعة

لمشيئة الله ولكن جعل الله له اختياراً.

١٥- اعتراف العقل بالعجز إذ لا يعقل كيفية كثير من الغيبيات فهو قاصر ولكن عليه التسليم والاقتناع التام بعدل الله.

١٦- الإيمان بالغيب إذ يؤمن المؤمن بأشياء لا يعقل كيفيتها مع معرفته لمعناها وتصديقه التام بعدل الله ومسؤولية الإنسان.



فهرس





الموضـــــوع — الصفحة

